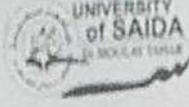


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique & Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la
Recherche Scientifique
Université Dr Taher Moulay De Saida
Faculté de science humaines et sociale



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

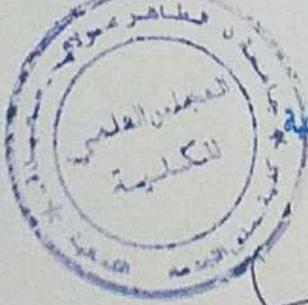
مستخرج اجتماع المجلس العلمي للكلية

بناء على محضر اجتماع المجلس العلمي المنعقد بتاريخ السابع من شهر ديسمبر سنة ألفين
وواحد وعشرون بمقر كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية , و الخاصة بالنقطة المتعلقة بالسند
البيداغوجي المقدم من طرف الأستاذ : موساوي مجدوب

و المعنون ب: " المجتمع الجزائري و فعاليته " موجه لطلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ
الجزائر الحديث

فقد تمت الموافقة على هذا الأخير .

رئيس المجلس العلمي للكلية



رئيس المجلس العلمي بالكلية
د. حفيان محمد

عيا

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي بسعيدة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية (شعبة التاريخ)



مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة
الثانية ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث
في مقياس المجتمع الجزائري وفعالياته



إعداد:
الدكتور موساوي مجدوب
أستاذ محاضر قسم - أ -

السنة الجامعية: 2021 - 2022 م / 1442 - 1443 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محاضرات مقياس المجتمع الجزائري

وفعالياته

مستوى سنة ثانية ماستر (ل.م.د)

تخصص تاريخ الجزائر الحديث

مقدمة

تتناول هذه المطبوعة البيداغوجية الدروس الكاملة لمقياس المجتمع الجزائري وفعالياته المقررة والموجهة إلى طلبة سنوات الثانية ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث (ل.م.د)؛ والتي سنتعرف من خلالها على كل ما خص المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية من عادات وتقاليد، المستوى المعيشي والصحي والثقافي، وأهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها.

والحقيقة أن هذه الدروس تعتبر تنمة لما تحصل عليه الطلبة في السنة الماضية من معلومات ومكتسبات في هذا المقياس، والذي حاولنا من خلال دروسه أن نقدم لطلبتنا نظرة شاملة وصورة صادقة وموضوعية عن المجتمع الجزائري وفعالياته خلال الفترة المذكورة وطبيعة العلاقات السائدة بين مختلف شرائحه ومقارنتها بمجتمعنا اليوم بمعرفة ما افتقدناه في مجتمعنا السابق وما اكتسبناه في مجتمعنا الجديد هذا؛ من عادات وتقاليد وأعراف وعلاقات... والوقوف عند أهم العوامل التي أدت إلى هذه التغييرات بقصد تزويد طلبتنا برصيد علمي ومعرفي عن تاريخنا خلال هذه الفترة.

ولتحقيق هذه الأهداف النبيلة حاولنا أن نجيب على مجموعة من التساؤلات التي تخدم هذه المواضيع بصفة مباشرة؛ وهي معرفة فعاليات الفئات الاجتماعية في الريف والمدينة، ومدى مساهمة وتأثير كل فئة في مجالات الحياة المختلفة والعوامل التي أثرت فيها.

أما بخصوص طرائق التعليم والتعلم في هذا المقياس، فقد اعتمدنا على طريقة الإلقاء وطريقة العرض باستخدام جهاز العرض واستخدام وسائل تعليمية مختلفة مثل (Powerpoint). وبخصوص طريقة التقييم فنجد الأعمال الموجهة 50% + الامتحان 50%.

ولتطوير المعارف والمكتسبات في هذا المجال فإننا نوصي طلبتنا بالعودة إلى المصادر والمراجع الرئيسية والأرشيف الوطني والمخطوطات المختلفة والكتابات الأجنبية والاستعانة بالمراجع الالكترونية ومواقع الانترنت. وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في إعداد هذه الدروس؛ وأن تنال رضا طلبتنا الأعزاء، وأن تفيدهم في دعم وإثراء مكتسباتهم القبلية.

د.موساوي مجدوب

**محاضرات مقياس المجتمع الجزائري وفعالياته
مستوى سنة ثانية ماستر (ل.م.د)
تخصص تاريخ الجزائر الحديث**

المقرر يحتوي على:

أ-نشاطات المجتمع الجزائري الاقتصادية:

1-النشاط الفلاحي

2-النشاط الحرفي

3-النشاط التجاري

ب-النشاطات الاجتماعية والثقافية:

1-العادات والتقاليد

2-المستوى المعيشي والصحي

3-المعاملات (المصاهرة)

4-المستوى الثقافي

5-دور الأوقاف الاجتماعي

أ-نشاطات المجتمع الجزائري الاقتصادية

1-النشاط الفلاحي

2-النشاط الحرفي

3-النشاط التجاري

الدرس الأول: نشاطات المجتمع الجزائري الاقتصادية

1-النشاط الفلاحي والحرفي (الحصّة الأولى)

ساهمت الكثير من العوامل في تأزم الحياة الاقتصادية بالجزائر في مطلع القرن 16م/10هـ، نتيجة الأوضاع السياسية غير المستقرة المتمثلة في الغزو الخارجي الإسباني لسواحلها، وما ألحقه من دمار وخراب بالبلاد والعباد. والتفكك الداخلي الذي كانت تعرفه الجزائر. ضف إلى هذا دور القبائل البدوية السلبية في الاقتصاد، بسبب نزاعاتها فيما بينها، وغاراتها على الطرق والأسواق والقرى والمدن وعلى القوافل التجارية¹.

كما أن الجزائر عرفت الكثير من الكوارث الطبيعية خلال هذه الفترة¹، هاته العوامل وغيرها أدت إلى انعدام الأمن والاستقرار، وانتشار الخوف وتزايد

¹ عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، من ص 13 إلى ص 25.

الأخطار وهي بدورها أدت إلى ظهور هجرات داخلية وخارجية بحثا عن الأمن والاطمئنان، وهو ما أشار إليه كثيرًا الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا². ورغم مجيء العثمانيين، ودورهم في تحرير البلاد من الإسبان. ومساهمتهم في نشر الأمن والاستقرار بالقضاء على الانقسامات السياسية الداخلية، وترويض القبائل الثائرة³. إلا أنهم ظلوا عاجزين عن تنشيط ديناميكية الاقتصاد، إذ لا نجد أي محاولة منهم جادة لتطوير الأدوات التقليدية المتوارثة التي استخدمت في الإنتاج الاقتصادي بمختلف ألوانه⁴. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ميولاتهم العسكرية أكثر من ميل آخر، أو بسبب إحساسهم الدائم أنهم غرباء عن هذا الوطن، لذلك نجدهم لم يقوموا بأي مشاريع صناعية مثل ما كان يحدث لنمو الإنتاج في مدن أوروبا. ولم يشجعوا على الإنتاج الزراعي ولا على المنتجات المحلية بصفة عامة. ولم ينفقوا رؤوس الأموال التي جمعوها من القرصنة في مستقبل البلاد، ورفع مستواها الاقتصادي. ولم تكن هنالك تجارة ثابتة ولا نظام نقدي ثابت. فلم يكن مهمهم تحقيق التقدم الاقتصادي بقدر ما كان يهتمهم جمع الأموال في خزائهم والمحافظة على مناصبهم ومراكزهم⁵.

وبالرغم من ذلك فإنهم لم يقفوا أبدًا في وجه المبادرات الخاصة. وقد نعتبر هذا نوعًا من المساهمة غير المباشرة منهم لتطوير فعاليات الاقتصاد، فمثلا في الزراعة أقطعوا الأندلسيين المهاجرين أرضا في البليدة وغيرها، وأفسحوا المجال لخبراتهم الزراعية كي تعطي ثمارها⁶.

ورغم الأثر السلبي للعوامل السالفة الذكر، إلا أن الحياة الاقتصادية انتعشت وتحسنت تدريجيا خلال القرن 16م والنصف الأول من القرن 17م، وخاصة بعد قدوم أعداد كبيرة من مهاجري الأندلس إلى أرض الجزائر واستقرارهم بالجهات

¹ محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، جانفي 1985، ص 109.

² الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

³ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 35.

⁴ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 12.

⁵ علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، الطبعة الأولى، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 280.

⁶ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 35.

الساحلية. يستصلحون أراضيها ويعمرون مدنها وقراها مستغلين مواردها الاقتصادية¹.

ولقد تميز النشاط الاقتصادي الجزائري خلال الفترة العثمانية، بعدة مميزات نحاول التطرق لها من خلال استعراض مختلف المنتوجات الزراعية، والحرف الصناعية، والمهن اليدوية، والمبادلات التجارية.

1- النشاط الفلاحي:

يمثل أكبر نشاط اقتصادي، ومع ذلك كانت الفلاحة بدائية وكانت وسائل الإنتاج بسيطة جدا منذ مئات السنين². متمثلة في المحراث الخشبي، وأدوات الحصاد والدرس وغيرها من الأدوات الزراعية، إذ حافظت على مواصفاتها السابقة ولم يطرأ عليها أي تغير³. تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض وأثرت فيها ظروف وعوامل مختلفة متمثلة في الآفات الطبيعية من أوبئة وقحط وجراد وزلازل وفي انعدام الأمن.

كما كان لنمط العيش تأثير مباشر عليها، فإلى ذلك سياسة الحكام الرامية إلى التحكم في زراعة الحبوب وتوجيهها نحو التصدير⁴.

أولاً: طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض:

تنوعت الملكية وتمثلت في:

1- الملكيات الخاصة:

أغلبها كان يقع في المناطق الجبلية الآهلة بالسكان، أو بجوار المدن، يستغلها أصحابها مباشرة، وعليهم إزاء الدولة دفع فريضتي العشر والزكاة⁵.

2- ملكية البايليك:

أغلبها يوجد بمنطقة دار السلطان، وجهات وهران وقسنطينة، وهي أراضي ملك للدولة مباشرة. كان يستخدم فيها نظام الخماسة أو ما يعرف «بالتويضة» عن طريق تسخير قبائل الرعية، كما استفاد من هذه الأراضي المرابطون، وشيوخ

¹ سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 49.

² محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 102.

³ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 12.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 54 – 57.

⁵ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 51.

القبائل الكبرى، والعشائر المهمة، وأحيانا عشائر المخزن عندما يتعذر استغلالها مباشرة مقابل خدمات متنوعة¹.

3- الملكيات المشاعة:

تستغل جماعيا، ويعود حق التصرف فيها إلى كامل أفراد القبيلة، كل حسب طاقته، كان يترك جزء منها لاستغلاله في الرعي².

4- ملكيات الوقف:

حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية، والمؤسسات الدينية. لم تكن تخضع لأي ضريبة أو رسم، ولم تكن تتعرض لأية مصادرة، أو حجز من طرف الحكام³.

ثانيا: الإنتاج الزراعي:

وفير ومتنوع، لتعدد المناخ وخصوبة التربة ونجد:

1- إنتاج زراعي ذو طابع تجاري:

متمثل في الأرز والقطن بجهات مستغانم ومليانة⁴. التبغ خصصت له مساحات شاسعة في منطقة الشبلي بالسهل المتيجي. نوعيته رفيعة، إذ كان يصدر إلى الخارج⁵، العسل والشمع اشتهر به الشرق وأقاليم الجبال ببايليك الغرب. كما وجدت زراعة الكتان، والتي كانت في جهات متعددة، وكانت نوعيته ممتازة، كما كان يرسل منه هدايا إلى القسطنطينية⁶.

2- إنتاج زراعي ذو طابع استهلاكي:

متمثل في الحبوب بمختلف أنواعها من قمح وشعير، وبقول من مواد غذائية بالسهول الساحلية وأيضا بواحات الصحراء كواحة الزيبان. كما نجد زراعة الأشجار المثمرة بالمناطق الجبلية وبالأرياف من إجاص، تفاح، برتقال، عنب،

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 51-52.

² محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 107.

³ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 53.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 140.

⁵ علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 297.

⁶ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 59. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 53.

كرز... إضافة إلى التمور بأنواعها بواحات النخيل، كما نجد زراعة مختلف الخضروات¹.

3- إنتاج حيواني:

مصدره الرعي. الذي اعتمد عليه غالبية السكان، خاصة في الأرياف كونه النشاط الذي يتلاءم مع حالة اللاإستقرار التي تعرفها البلاد ضف إلى هذا تجنيب ممارسيه دفع الضرائب². جل المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها لا تذكر أعداد الثروة الحيوانية بالبلاد خلال هاته الفترة، وقد يعود هذا إلى عدم اهتمام السلطات بالإحصاء³. إلا أن جميعها تتفق على أن أعدادها كانت كبيرة ومتنوعة من غنم وإبل وأبقار وخيول وبغال وحمير. وفرت إنتاجًا غزيرًا من اللحوم والألبان والصوف والوبر والجلود، والذي كان عماد بعض السكان في غذائهم وملبسهم ومسكنهم، وبصفة خاصة القبائل البدوية⁴، التي اعتمدت على التنقل والترحال بحثًا عن الماء والعشب⁵.

تطور هذا النشاط في السهول الوهرانية والأطلس الصحراوي، وفي بعض المناطق المرتفعة كالونشريس والأوراس خاصة⁶.

4- الثروة البحرية:

مورد اقتصادي هام، ومصدر رزق لكثير من السكان في المناطق الساحلية⁷. ثروته متنوعة، مما جعل بعض الدول الأوروبية تسعى لعقد اتفاقيات مع الجزائر قصد الحصول على امتيازات لاستغلال هذه الثروات⁸.

2- النشاط الحرفي:

¹ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص9. محمد بن عبد الكريم، المقرئ وكتابة نفتح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص37. محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص108. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع نفسه، ص ص58-59.

² علي عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق، ص294.

³ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص109.

⁴ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص9-10. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص60. علي عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق، ص298.

⁵ مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص27.

⁶ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص55.

⁷ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص10.

⁸ محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص38.

لم تكن الصناعة في الجزائر مزدهرة خلال العهد العثماني، وذلك لأنها كانت في معظمها عبارة عن مهن تقليدية وحرف يدوية. تميزت بالبساطة، وبعتمادها على الموارد الأولية المتوفرة في البلاد، وأنها كانت متوارثة¹. كما أن شدة الحاجة الضرورية هي التي دفعت إلى ممارستها². ورغم بساطتها إلا أنها عرفت بالتنوع والإتقان، كما ظهرت عليها تجديدات بقدم الأندلسيين المهاجرين إلى الجزائر³.

انفردت كل طائفة بحرفة، ولكل طائفة أمينها الخاص، وهو المسؤول عن دفع الضرائب وصرف المنتج، وتحديد أثمان سلعة الحرفة، أي أنه الوكيل عن حرفته والتصرف فيها⁴. كما خصص لكل حرفة سوقا خاصا بها أو شارع. وتمثلت هذه الحرف في حياكة الزرابي والبرانس والحصير، والألبسة، وصناعة الأدوات النحاسية والشمع والصبغة والدباغة، والصناعة الإستخراجية كالمح والحديد. بالإضافة إلى بناء السفن في بجاية وشرشال والعاصمة، وقد تخصص في بنائها الأجانب و الأسرى الأوروبيون وغيرها من الصناعات⁵.

أولاً: أنواع الصناعات

أ- الصناعة التقليدية: متنوعة حسب الجهات وحسب المواد الخام التي تصنع منها، وتتمثل في:

1- الصناعة النسيجية:

تمثلة في صناعة البرانس والجلابيب والأفرشة (زرابي)، إلى جانب صناعة الحبال والخيوط والعمائم والأكياس والعمائر... اشتهرت واحات الصحراء بصناعة الزربية كواحات غرداية وتقرت وبسكرة وبوسعادة والمسيلة واشتهرت بلاد القبائل والأوراس والسهول العليا بصناعة البرانس المطروزة، كما اشتهرت منطقة مزينة وأولاد سيدي إبراهيم بالبنيان بصناعة الحبال والجراب والخيوط⁶.

2- الصناعة الجلدية والدباغة:

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 70-71.

² محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 38.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 140-141.

⁴ علي عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق، ص 299.

⁵ وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص ص 93-94.

⁶ يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من التاريخ الجزائري والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 521.

تميزت بجودتها وتمثلت في صناعة الأحذية والأحزمة والمحافظ وحافظات النقود، مزدهرة كثيرا بالشرق الجزائري وأفادتنا المراجع بأن مدينة قسنطينة احتوت على عدد كبير من مصانع الجلد؛ منها مثلا 75 مصنعا لصناعة السروج و167 مصنعا آخرًا لصناعة الأحذية والتي اشتهرت بها أيضا قلعة بني راشد¹.

3- الصناعة الخشبية:

تطورت بسبب وفرة مادتها الأولية المتمثلة في أشجار البلوط والزان والزيتون والعرعار والصنوبر والزبوج... تمثلت في صناعة الملاعق والمغارف الصغيرة والكبيرة والقصعات والصناديق والأبواب والخزائن والطاولات والمكانس... وغيرها من مصنوعات أخرى. ارتبطت بصناعة بالنقش². كما استغلت المادة الخشبية أيضا في صناعة الفحم لاستغلاله في صناعة الحدادة وتذويب المعادن الثمينة خصوصا بمناطق جرجرة³.

4- صناعة الفخار والطين:

مزدهرة كثيرا بمنطقة القبائل؛ وتتمثل في صناعة القلل والصحون والقصاعي والقذور والفناجين...⁴.

5- الحدادة:

متنوعة وجودتها عالية؛ منتشرة بكامل الجزائر وبصفة خاصة بالشرق وبالأوراس، متمثلة في صناعة السكاكين والفؤوس والقادومات والدروع والأقفال والألجمة والخناجر التي تشتهر بصناعتها مدينة بوسعادة، إلى جانب تذويب الرصاص والنحاس وصناعتها وصناعة الأسلحة والبارود.

6- الصناعة الغذائية:

انتشرت بالمدن الكبرى كتلمسان والجزائر وقسنطينة، تمثلت في صناعة أفران الخبز ومطاحن الدقيق وعصر الزيتون وتصبير الفواكه. تذكر المراجع أن مدينة قسنطينة كان بها 18 فرن لطهي الخبز و22 طاحونة مائية¹.

¹ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009، ص 324. توفيق دحماني، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني (1193هـ-1779م/1246هـ-1830م)، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 17.

² عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر خاصة، ج2، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 2006، ص 189.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي الجزائري في الفترة 1800 - 1830، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص 35.

⁴ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 522.

7- صناعة الحلي:

كانت رائجة ومربحة؛ اشتهرت بها بلاد القبائل والأوراس وبعض الواحات الصحراوية، تمثلت في صناعة الأساور والخلاخل والخواتم والعقود والعمائم والتيجان والأقراط. كما تميز واختص اليهود والأندلسيين والكراغلة في المدن الكبرى كتلمسان والجزائر وقسنطينة بصناعة الأحجار الكريمة².

8- صناعة الأرحية والمعاصر:

اختص بها سكان المناطق الجبلية لوفرة مادتها الأولية المتمثلة في الحجارة التي كانت تصنع منها كحجر الصوان الأملس الذي استخدم في طحن الحبوب وعصر الزيتون

وبخصوص صناعة الأرحية يوجد نوعان الصغيرة للمنازل تستعملها النساء لرحي الحبوب بعضلاتهن يوميا تقريبا، والكبيرة المنصوبة على حواف الأنهار والأودية لطحن كميات كبيرة من الحبوب وتدار بواسطة القوى المائية، أما بخصوص معاصر الزيتون فتدار بالخيل والأحمر ونج عن مخلفات هذه المعاصر صناعة الصابون والشمع³.

9- الصناعة القطنية والحريرية:

أشرف عليها الأندلسيون؛ وتميزت بجودتها بسبب نوعية المياه والصبغة، تمثلت في صناعة الأقمشة القطنية والكتانية وصناعة الأحزمة الصوفية والحريرية والمناديل، انتشرت في كثير من المناطق وبصفة خاصة في المدن كندرومة، مازونة، مستغانم، البليدة، الجزائر ومدينة شرشال التي اشتهرت بالصناعة الحريرية التي كانت تصدر إلى الخارج كأوروبا مثلا، كما اشتهرت مدينة مستغانم بصناعة الشاشية الأندلسية⁴.

10- صناعة السفن:

¹ شريط عبد الله والميلي محمد مبارك، مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص 189. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 521.

² يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 523. ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 70.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص 102. محمد عليو، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في معسكر خلال القرن 18 وبداية القرن 19 ميلاديين، مذكرة ماجستير تحت إشراف دحو فغور، جامعة معسكر، 2008-2009، ص 65.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات الأندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 31. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 521. أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 33.

أولت الجزائر أهمية بالغة لهذا النوع من الصناعة؛ بسبب نشاط البحرية الجزائرية والحاجة إلى أسطول لمواجهة الأخطار الخارجية، خصوصا وأن المادة الأولية متوفرة من الخشب. وبالرغم من توفر العناية لهذه الصناعة إلا أنها تراجعت بسبب إدخال اليد العاملة الأجنبية عليها التي كانت سببا في إضعافها¹.

11- صناعة الأسلحة:

ازدهرت نتيجة نشاط العائلات التركية والأندلسية منذ القرن السادس عشر؛ تمثلت في صنع البنادق وسبك المدافع وتحضير البارود وتشكيل القنابل، تخصصت الكثير من المدن في هذه الصناعة وبصفة خاصة قلعتي بني راشد وبني عباس وقسنطينة والجزائر وقبائل الصحراء (بسكرة مثلا) وجرجرة التي استُخدمَ بارودها الباي محمد الكبير في حصاره لمدينة وهران².

الدرس الثاني: نشاطات المجتمع الجزائري الاقتصادية

2- النشاط الحرفي والتجاري (الحصة الثانية)

نواصل ما تبقى من الحصة الأولى نجد من الصناعات التي عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية أيضا:

12- صناعة أدوات نسيج الحلفاء:

ازدهر هذا النوع من الصناعة بالهضاب العليا حيث يكثر نبات الحلفاء؛ تمثلت في صناعة السجاجدات والقفف والأطباق والحبال والمكنسات والغرابل...

13- صناعة الأدوات القصبية:

¹ أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص 329. ناصر سعيدوني، المرجع السابق، ص 66.

² يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 526.

انتشرت هذه الصناعة بمناطق الأودية والأنهار؛ تمثلت في صناعة السلل والأفصاف والأطباق (الأطباق المثلثة مثلا)...

14- صناعة الكحل وبعض مواد الزينة:

اختص بهذه الصناعة النساء داخل بيوتهم؛ تمثلت في صناعة السبخاب وهو القلادة المشكّلة من قرنفل وسكّ ومحلّب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء، وصناعة الكحل المستخرجة من حجر الإثمد لتزيين العيون، وصناعة الديرم المستخرج من لحاف شجرة الجوز لتلميع الشفاه ومنحها لونا بنيا فاتحا وجميلا¹.

ثانيا: تنظيم قطاع الحرفة:

حظي قطاع الحرفة بالجزائر خلال الفترة العثمانية بتنظيم محكم؛ إذ انفردت كل طائفة بحرفة، ولكل طائفة أمينها الخاص، وهو المسؤول عن دفع الضرائب وصرف المنتج، وتحديد أثمان سلعة الحرفة، أي أنه الوكيل عن حرفته والتصرف فيها². ومن بينهم نذكر: أمين الفضة، أمين الخياطين، أمين السراجين، أمين الخزانيين، أمين الصباغين، أمين البنائين، أمين الدلالين وأمين الكواشين وغيرهم³. كما خصص لكل حرفة سوقا خاصا بها أو شارع⁴.

مميزات الصناعة في الجزائر خلال الفترة العثمانية:

تميزت الصناعة الجزائرية خلال الفترة العثمانية بمجموعة من الخصائص تمثلت في:

- أنها كانت صناعة مزدهرة خصوصا في مراحلها الأولى.
- اعتمادها على المواد الأولية المتوفرة؛ كالجلود والأخشاب والمعادن المختلفة كالنحاس والفضة والرصاص والحديد والرخام...
- أنها صناعة محلية لم تكن موجهة إلى التصدير الخارجي وإنما اكتفت على تلبية حاجات السكان⁵.

- أنها اختصت بها كل مدينة؛ فمثلا اختصت مدن كل من الجزائر وشرشال وجيجل وعنابة في صناعة السفن واختصت بلاد القبائل والجزائر وقسنطينة وقلعة بني راشد بالأسلحة والبارود... وهكذا⁶.

¹ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 إلى 1830، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012.

² علي عبد القادر حلّيمي، المرجع السابق.

³ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقارنة اجتماعية-اقتصادية، ج1، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف مولاي بالحميسي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001. ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق.

⁴ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة والأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

⁵ يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

⁶ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

- أنها كانت بسيطة وتقليدية وظلت متوارثة¹.
- **مشاكل الصناعة في الجزائر خلال الفترة العثمانية:**
عانى النشاط الحرفي بالجزائر خلال الفترة العثمانية من مشاكل عديدة

نذكر منها:

- ثقل الضرائب المفروضة على الحرف من طرف الحكام².
- المنافسة الأجنبية سواء من طرف أوروبا أو من المغرب الأقصى
وتونس³.

- الاعتماد على اليد العاملة الأجنبية خصوصا في الصناعات الأساسية؛
كصناعة السفن والتي ساهمت في إضعافها.
- انتشار ظاهرة السرقة والنصب من طرف اللصوص والقطاع بالطرق أثر
على الصناعة من خلال عدم تسويق منتوجها أو الترويج له.

ثالثا: النشاط التجاري:

لم تكن وضعية النشاط التجاري بالجيدة في الجزائر خلال العهد العثماني،
سواء التجارة الداخلية أو الخارجية، وذلك لجملة من العوامل أضرت بها متمثلة
في:

1- بالنسبة للتجارة الداخلية:

عانت كثيرا من الصعوبات التي واجهتها من قلة الطرق وانعدام الأمن إلى
عدم تطور وسائل النقل، وتدهور العديد من المراكز التجارية، كتلمسان مثلا
وغيرها. كما كان للاحتلال الإسباني الأثر السلبي عليها، خاصة بإقليم الغرب
الجزائري الذي خسر تجارته الداخلية، فلا الأسواق كان يمكنها أن تتعقد، ولا
القوافل التجارية كان يمكنها اجتياز المناطق المجاورة لوهران بسلام⁴.

ظروف اللأمن هاته، جعلت التجار يؤجرون بعض الأشخاص لحماية
قوافلهم⁵ فوجد مثلا ملوك تلمسان العاجزين عن توفير الأمن بالقضاء على قطاع
الطرق، اضطروا لأن يدفعوا لبعض العرب أتوات من أجل تأمين الطريق من
الأخطار.

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 71.

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 62.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 145.

⁴ عمار بن خروف، المرجع السابق.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تحقيق محمد العربي الزبييري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
الجزائر، 1975 .

هاته الحالة المزرية، لم تقتصر على جهة واحدة في البلاد بل كانت حالة عامة وشاملة. ومع ذلك كان يوجد نوع من النشاط التجاري الداخلي خاصة بين الشمال والجنوب وذلك لاختلاف المنتوجات بينهما، إذ كانت تصل من الصحراء التمور والأنسجة الصوفية إلى الشمال، وكان يصل إلى الصحراء من الشمال الحبوب، وبصفة خاصة القمح، إضافة إلى الصوف، وقد كان للبدو الرحل دور في هذا النشاط من خلال رحلاتهم الصيفية إلى الشمال، وعودتهم منها في الشتاء¹. وبصفة عامة فإن المبادلات التجارية الداخلية، في معظمها اعتمدت على نظام المقايضة (تبادل سلعة بسلعة أخرى)، الذي كان أفضل طريقة للتعامل، وذلك لأن النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة². وتمثلت هذه المبادلات فيما تجود به الحيوانات من أصواف وجلود، وظلت تمثل ثروة اقتصادية هامة. وتليها المنتوجات الزراعية، ثم المصنوعات المحلية³. وكانت التجارة الداخلية تتم في الأسواق المحلية أو الجهوية وفي الحوانيت والمعارض السنوية⁴.

أما عن وسائل النقل فكانت تختلف من مكان لآخر، ففي التل استعمل التجار الجمال والبغال لنقل سلعهم، والخيل لنقل الأشخاص. أما في الصحراء فاستعملوا الجمال والحمير لهما معا، وعادة كان النقل يكون عن طريق القافلة التي تضم مجموعات متعددة من التجار أو عن طريق القبيلة السيارة التي تنتقل بكاملها⁵.

2- بالنسبة للتجارة الخارجية:

هي الأخرى اعترضتها جملة من العوائق أضرتها، تمثلت في:
- اكتشاف طرق تجارية جديدة نتيجة الكشوفات الجغرافية⁶. مما أثر سلباً على التجارة الخارجية، وبصفة خاصة مع بلاد السودان. إذ بموجب هذا الاكتشاف تحول قسم كبير منها إلى المحيط الأطلسي، بعد أن تمكن البرتغاليون من إنشاء العديد من المراكز التجارية على امتداد سواحلها. وفي السابق كانت تجارة بلاد

¹ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 15.

² محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 118.

³ علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق.

⁴ محمد العربي الزبييري، المرجع السابق.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ عمار بن خروف، المرجع السابق.

السودان تتجه عبر الصحراء إلى الجزائر والبحر المتوسط، وبفضلها نشأت وازدهرت مدن شمال الصحراء والمدن الواقعة على طريق القوافل.

- كما تأثرت التجارة الخارجية بسبب الاحتلال الإسباني الذي احتل كثيرًا من المنافذ البحرية، ومنع التجارة بين الجزائر والأمم الأوروبية¹. مما جعل دور الموانئ ضعيفا سواء تلك التي أحتلت أو غيرها، كموانئ وهران، بجاية، هنين...، إذ كانت تعتمد على التجارة مع بلدان أوروبا المتوسطية، كما كانت تمثل موارد هامة بالنسبة للدولة².

- كما عانت التجارة الخارجية الجزائرية من ظاهرة الاحتكار للمواد الأولية والتي ظلت تستنزف بأسعار زهيدة من قبل الأجانب نتيجة الامتيازات التجارية التي تحصلوا عليها، وكانت النتيجة أن أصيب الاقتصاد في الصميم، إذ أصبح موجهًا لتغطية كل ما تحتاج إليه السوق الأوروبية من هاته المواد³.

- وإلى جانب قلة الإنتاج المحلي. فإن التجارة الخارجية للجزائر لم تسلم من الدعاية التي أضرتها كثيرا، والتي روج لها التجار الأوروبيون في بلدانهم من أن تجار الجزائر ليست لهم موثيق وعهود، وليس لحكومتهم ضمانات تجارية، وأن السفن المسيحية يصعب عليها الوصول إلى ميناء الجزائر من خطر القرصنة، وإن هي دخلت إلى الميناء أجبرت على دفع رسوم كبيرة⁴.

ورغم وجود هاته العراقيل إلا أن الحكام الأتراك العثمانيين وقفوا لأجل تنشيطها كونها كانت تمثل مورداً هاماً للدولة وذلك من خلال ضبطها وتنظيمها ومراقبتها⁵.

أما عن المبادلات التجارية فكانت متنوعة. تمثلت صادراتها في الأصواف، الجلود، الشمع، التبغ، ريش النعام، الملح، وقليلًا من المنسوجات أهمها الزرابي

¹ مبارك بن محمد الملي الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مطبعة بدران وشركاه، بيروت، لبنان، 1964.

² مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديد، الرباط، المغرب، 1408هـ-1409هـ/1988م-1989م.

³ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 74-76.

⁴ علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 300.

⁵ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 36-37.

والمنادل... وتمثلت وارداتها في السكر، البن، التوابل، الحديد، الورق، الزجاج، الأواني، الأقمشة الحريرية والقطنية...¹

3- العملة:

كانت للجزائر عملة خاصة، ذهبية وفضية ونحاسية. تضرب بدار السكة في القسبة باسم السلطان العثماني وكانت تتداول في أسواقها العملة الأجنبية كالعملة الفرنسية والإسبانية². بخصوص العملة الخاصة تتمثل في:

- **النقود الذهبية:** تميزت بشكلها المستدير ولم تكن متداولة بكثرة؛ تمثلت في السلطاني أو السكة الجزائرية أو نصف السكة أو نصف السلطاني وربع السكة وربع السلطاني والسلطاني الجديد.

- **النقود الفضية:** كانت متداولة بكثرة؛ وتمثلت في ريال بوجو أو قرش جزائري صغير أو ربع بوجو، ثمن بوجو.

- **النقود النحاسية:** هي نقود ضعيفة تتلاءم مع التجارة في المبادلات وهي أنواع: خروبة، دراهم الصغار.

أما بخصوص تداول العملة الأجنبية بالجزائر خلال الفترة المذكورة فسببه تعامل الجزائر العثمانية مع شركات أجنبية وحصولها على آتاوات وهدايا دولية وعتق الأسرى المسيحيين³.

4- الخزينة:

لم تعرف الخزينة الجزائرية خلال العهد العثماني عجزاً مالياً. وقد اعتمدت إيراداتها على جباية الضرائب المتنوعة والمتمثلة في (اللزمة، الغرامة، الزكاة، الضيفة، المعونة، الأتاوة، والعادة) أو النشاط البحري، إضافة إلى مداخيل أخرى⁴.

¹ وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980. عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر. علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق. محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 126-127. محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 38-39.

² Fray Diego DE HAËDO, *histoire des rois d'Alger*, traduit de l'espagnol par Henri Delmas de grammont, présentation de Abderrahmane Rebahi édition grand-Alger-livre (GAL) Alger, 2004. وليام شالر، المصدر السابق، ص 260-261.

³ نصر الدين سعيدوني، النظام المالي الجزائري...، المرجع السابق. وليام شالر، المصدر السابق، ص 260-261. Ibid,

p.129-130.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المرجع السابق. عزيز سامح إلتز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ-1989م.

-الضرائب السنوية:

تعتبر الركيظة الأساسية في تمويل الخزينة، تعددت أنواعها واختلف مقدارها؛ ومنها:

-**الزكاة:** تأخذ على الأموال العينية والنقدية من حبوب وماشية وغيرها، وهي ضريبة شرعية.

-**العشور:** من المصادر الرئيسية لخزينة الدولة (البالك)؛ تأخذ على المحصول الزراعي وهي ضريبة العشر الشرعية ويتم تحديدها على أساس عدد الجادات أو الزوجات¹.

- **الغرامة:** وهي ضريبة مستحدثة عينية أو نقدية؛ وهي في الغالب تعوض ضريبتى العشور والزكاة تؤخذ كل سنة وقد تؤخذ مرة واحدة بضع سنين.

- **ضريبة الفرس ونبل الرعية:** وهي إلزام بالمساهمة في الجهد الحربي لفائدة المحلة فهي تعرف عند العامة بضريبة الفرس أو حق المجاد أو القادة أو مهر الباشا².

2-العوائد:

وهي الهدايا التي تقدم بمناسبة تعيين القناصل أو بالمناسبات السعيدة أو مناسبات مجيء الوفود إلى الجزائر للتفاوض³ وتتمثل في:

-عوائد سكان المدن:

تُعرف بضيعة متاع دار السلطان وضيعة متاع دار الباي؛ اختلفت من مدينة إلى أخرى حسب أهميتها، عائداتها كانت موجهة لتغطية تكاليف استقبال الباي⁴.

- الهدايا:

نجد فيها نوعان متمثلة في الهدايا بمناسبة قدوم قنصل جديد؛ وهدايا المناسبات السعيدة مثل رأس السنة والأعياد المختلفة⁵.

وإلى جانب عوائد السكان والهدايا نجد كذلك أنواع أخرى كعوائد بقية رجال **الوجاق** وهدية خوجا الخيل⁶.

¹ أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الزهار، تحقيق أحمد التوفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص. ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية -الفترة الحديثة-، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص.

² الزهار، المرجع السابق، ص 44.

³ صالح عباد، المرجع السابق.

⁴ محمد عليو، المرجع السابق، ص 75.

⁵ يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد، 1780-1798، د.م.ج، الجزائر، 1993. يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 300.

⁶ الزهار، المصدر السابق، ص 45.

ب-النشاطات الاجتماعية والثقافية

1-العادات والتقاليد

2-المستوى المعيشي والصحي

3-المعاملات (المصاهرة)

4-المستوى الثقافي

5-دور الأوقاف الاجتماعي

الدرس الثالث: النشاطات الاجتماعية والثقافية

1-مجتمع الجزائر

تأثر الوضع الاجتماعي للجزائر في بداية القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي، بجملة من العوامل ساهمت في تشكل نمط اجتماعي جديد وتمثلت فيما يلي:

أ- هجرة الأندلسيين من مسلمين ويهود:

بدأت هاته الهجرة خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي، وتقوت خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، كانت نتيجة اضطهاد الإسبان لهم، ولا نعرف عددهم بالضبط، إلا أنهم وفدوا بكثرة قد يكونون بمئات الآلاف. حطوا الرحال في مختلف المدن الساحلية كشرشال، تنس، مستغانم، الجزائر...، وحتى في بعض المدن الداخلية. وساهموا بوجودهم بالجزائر في تنوع المشهد البشري، وفي تنمية الحياة المدنية وتعطيل الحياة الاجتماعية فيها. وإلى جانب مساهمتهم في نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين، ساهموا في مضاعفة الكفاح ضد الإسبان.

وعرفت هذه العناصر المهاجرة بحركتها التجارية، الذكاء، العلم، الصناعة والمهارة خاصة في البحرية، والتي كان لها تأثير بارز على السكان بالجزائر¹.

ب- مجيء العثمانيين:

وفدوا إلى الجزائر من مختلف المدن التركية في آسيا الصغرى، ومن المناطق الأوربية التي خضعت للحكم العثماني، وبدأوا في الاستقرار في المدن الساحلية منذ العقود الأولى من القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي. وتمركزوا في الحواضر التي كانوا يعملون بها على الخصوص في صفوف الجيش².

كان لهم أيضاً تأثير في الحياة الاجتماعية للجزائر من خلال ربط مجتمعه بالمجتمع الشرقي. فقد جاءوا بوسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مآكل وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد. كما أنهم قد أدخلوا المذهب الحنفي إلى

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (20-16م)، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 142، 143.

² عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة) بمناسبة عيدها الألف، من سلسلة دراسات وأبحاث، الطبعة الثانية، مطبعة صاري بدر الدين وأبناؤه، الجزائر، 1972.

الجزائر¹، وجاءوا معهم بطرق صوفية لم تكن معروفة، أو أنها لم تكن منتشرة بين السكان. كما أثروا في العمارة كالمساجد مثلا، وأنشئوا الأحباس خدمة لأغراضهم المختلفة كأوقاف سبيل الخيرات.

ج- الاحتلال الإسباني:

كان له تأثير من خلال الحروب، إذ تبادل الجزائريون معهم التجارب والمهارات العسكرية كالصنائع البحرية وبناء السفن وطرق معرفة البحر وحماية المراسي وتحصينها². كما كان لهم تأثير من خلال تحويل سكان المدن إلى سكان أرياف نتيجة الهجرة القسرية التي تعرضوا إليها، مثل ما حدث لسكان بجاية ووهران وهنين، الذين نجوا من القتل والأسر، وعاشوا في أجواء الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي، وانعدام الأمن، وسوء المعيشة. بل وحتى المجاعة مثل ما حدث لسكان جيجل في سنة 921هـ-1515م، وهاته الأوضاع المعيشية المزرية انعكست بدورها على الحياة الصحية، فانتشرت الأمراض والأوبئة مثل ما حدث في وهران وبجاية اللتين أصابهما الطاعون³.

إلى جانب العنصر الإسباني المحتل، كان هناك التجار الأوروبيون، والقناصل الذين وظفوا الجزائريين كترجمين، أضف إلى هذا الأسرى المسيحيين الذين عملوا في مختلف المجالات، وكثيرًا منهم اعتنقوا الإسلام. وفتح لهم بذلك باب الترقية إلى مختلف المهمات والمناصب ولم يكن هؤلاء الأوروبيون في معزل عن المجتمع الجزائري⁴.

2- تركيبة سكان الجزائر خلال العهد العثماني:

تشكل سكان الجزائر خلال العهد العثماني من عدة وظائف وجماعات متميزة فيما بينها، من حيث نمط معيشتها، وأسلوب حياتها، ومصادر رزقها، وطبيعة علاقاتها بالحكام، سكنت المدن والأرياف⁵. نوجزها فيما يلي:

1- سكان المدن:

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 143-144. حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمانها، جمعها اعتنى بها فارس كعوان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009، ص.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 144.

³ عزيز سامح إتر، المرجع السابق، ص 147.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 144-145.

⁵ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعدلي، المرجع السابق، ص 87.

اختلفت الآراء حول نسبتهم التي تشكلها من مجموع سكان الجزائر، إلا أن الراجح أنها لا تقل عن 5%. غلب على نمط معيشتها الاستقرار والتحضر¹. وانقسم سكانها إلى طوائف مختلفة حسب الأصول والجهات التي ينتمون إليها² وتمثلت في:

أ- الأقلية التركية:

هي الطبقة الأرستقراطية، وهي الطبقة التي حكمت الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي. كانت قوية وذات نفوذ واسع في البلاد. رغم قلة عددها، حرص أفرادها على إبقاء المناصب الحكومية بين أيديهم³. ولأجل ذلك طبقوا سياسة انعزالية عن أهالي الجزائر⁴. قصد تفادي منافستهم لهم في السلطة والنفوذ من جهة، واستقدام أبناء وطنهم من منطقة الأناضول في حالة الاحتياج إلى رجال آخرين من جهة ثانية. إذ كانوا يرفضون في كثير من الأحيان أبناء البلد إلا عند الضرورة، هاته السياسة وترت العلاقة بينهم وبين الأهالي مما حال دون اندماجهم⁵.

ب- جماعة الكراغلة:

تكونت نتيجة تزواج أفراد الجيش التركي «الانكشارية» بنساء البلاد⁶، وظهرت لأول مرة في المدن التي تقام بها الحاميات التركية، وهي الجزائر، تلمسان، معسكر، قلعة بني راشد. قسنطينة والمدينة⁷. وبالرغم من انتمائهم إلى أبناء من أصل تركي، إلا أن هذا لم يشفع لهم في الحصول على امتيازات أو المشاركة

¹ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

² مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص315.

³ عمار بوحوش، المرجع السابق.

⁴ محمد صالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاؤهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

⁵ عمار بوحوش، المرجع السابق.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص101. عمار بوحوش، المرجع نفسه.

⁷ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص94.

في الحكم، بل لم يكن لهم الحق حتى في الانتساب إلى الجيش أو الحصول على مناصب إدارية، وذلك بسبب القرابة ورابطة المصاهرة التي ربطتهم مع الأهالي¹. وبالتالي فإن الأتراك طبقوا قاعدة **صديق عدوي عدوي** حتى يحافظوا على امتيازاتهم ونفوذهم، مما تسبب في توتر العلاقة بينهم وبين الكراغلة ابتداء من سنة 1005هـ-1596م، والتي وصلت حد استعمال السلاح سنة 1039هـ/1629م، أين قضي على تمردهم² وأجبر كراغلة مدينة الجزائر على الهجرة منها³.

ج- طبقة الحضر:

كثيرة العدد، وهم سكان المدن أيضا. اشتغل أفرادها في الصناعة، التجارة، وفي الوظائف كالقضاء والتعليم. لم يكن لهم أي تأثير في نظام الحكم، وذلك لقلّة اهتمامهم بأمور السياسة وشؤون الحكم، كونهم كانوا من الجالية الأندلسية المهاجرة إلى بلادنا، ومن جماعة الأشراف التي تنتسب إلى آل البيت⁴.

د- مجموعات البرانية:

وهي المجموعات السكانية المهاجرة إلى المدن كتلمسان، الجزائر... قصد العمل والإقامة، وتتمثل هاته المجموعات في البساكرة، الجيليين، الأغواطيين، الميزابيين، العبيد... عاشوا ظروفًا صعبة وأوضاعًا سيئة لطبيعة مهنتهم التي اشتغلوها والتي كانت في الغالب عرضة للأمراض⁵.

هـ- الجالية اليهودية:

عرفت بنشاطها في المجتمع الجزائري. وتمكنت من الاندماج في الحياة العامة للجزائريين وكسبت ثروات هائلة، بفضل التجارة. كما ربطتهم علاقات حسنة مع الأتراك⁶.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق. عمار بوحوش، المرجع السابق، ص. مبارك بن محمد الملي، المرجع السابق، ص 302.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 154، 157. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 95.

³ ابن المفتي، المصدر السابق.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق.

⁵ المرجع نفسه، ص 99-102.

⁶ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 75.

و- الدخلاء:

وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري ممثلة في التجار الأجانب، القناصل الأوروبيين، رجال البعثات الدينية، ولا يخضعون للقوانين المعمول بها بالبلاد. إلى جانب جماعات الأسرى المسيحيين¹.

2- سكان الأرياف:

شكلوا غالبية سكان الجزائر، بنسبة تفوق 90%² من المجموع العام للسكان، غلب على نمط معيشتهم البداوة والترحال، ولاسيما في المناطق التي تقل فيها المياه أو يسود فيها الجفاف³. ويمكن تصنيفهم حسب صلتهم بالحكام وعلاقتهم ببعضهم وطريقة حياتهم كالتالي:

أ- قبائل المخزن:

تتحد من أصول مختلفة. تحالفت مع الحكام الأتراك وتعاونت معهم. كانوا يمثلون الجهاز الاقتصادي والعسكري والإداري الذي تعتمد عليه الإدارة العثمانية لاستخلاص الضرائب وحفظ الأمن والاستقرار وتسيير شؤون المجتمع الريفي⁴.

ب- قبائل الرعية:

كانت تقيم في المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدارة المتمثلة في قبائل المخزن والقبائل المتعاونة معها والحاميات العسكرية. لعبت دورا كبيرا في اقتصاد البلاد كونها كانت مصدره، وذلك لما وفرته من مداخيل مالية، وإنتاج زراعي وحيواني⁵. ومع ذلك حرم أفرادها من أية امتيازات⁶. وخضعت لجميع المطالب المخزنية والفروض الضريبية⁷.

ج- القبائل الممتنعة:

¹ عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السابعة، 1415هـ-1994م، الجزائر. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 104-105.

² مبارك بن محمد الملي، المرجع السابق، ص 316.

³ وليام شالر، المصدر السابق.

⁴ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 70.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 84. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 107.

⁶ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 70.

⁷ المرجع نفسه، ص 70. حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 69.

تتألف في معظمها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة والمناطق الصحراوية، أي في المناطق البعيدة عن نفوذ الإدارة. امتنعت عن دفع الضرائب لقلة مداخيلها. وطبيعة نشاطها الاقتصادي المنحصر على قليل من الزراعة وتربية المواشي والتجارة والذي لم يكن يلبي حتى احتياجاتها اليومية¹. وضمن هذه الطبقات كانت هناك فئة العلماء التي حظيت بالتقدير والاحترام لدى الحكام الأتراك من جهة، ولدى الرعية عامة من جهة ثانية. وكانت لها امتيازات ويمثلها خاصة شيوخ الطرق الصوفية وأئمة وفقهاء المساجد².

الدرس الرابع: النشاطات الاجتماعية والثقافية

1- العادات والتقاليد

تعددت تقاليد الجزائريين خلال العهد العثماني منها فما يخص:

1- تسمية المولود:

تكتسي تسمية المولود أهمية بالغة تعطى الأولوية فيها للكبار؛ حيث يتم اختيار اسم الابن أو البنت؛ وعادة ما كان الاسم من أسماء الأجداد احتراماً وتخليداً لهم وبهدف بعث الفقيه من خلال منح اسمه إلى مولود جديد. كما أن الجزائري تقيد بالأسماء العربية والإسلامية، ولم يسمي بالأسماء الغريبة والجديدة والدخيلة النادرة³.

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 109-110.

² عزيز سامح إتر، المرجع السابق، ص 107-108.

³ قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة، دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس، 1998.

وما يلاحظ أيضا من خلال الأسماء الموجودة في عقود الزواج والطلاق في الفترة المدروسة، تأثير أسماء أهل البيت، حيث جاء اسم "فاطمة" واسم "محمد" وأحمد على رأس القائمة؛ إذ احتلا الصدارة بلا منازع في أسماء أولاد الجزائريين، وهو ما يبرز تأثير أسماء أهل البيت ويظهر الانتماء الإسلامي لأفراد الأسرة الجزائرية.

كما تم تداول اسم "علي" فهو ابن عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه وزوج ابنته فاطمة - رضي الله عنها - ورابع الخلفاء الراشدين. كذلك تم تداول أسماء الصحابة - رضوان الله عليهم - مثل: عمر، عثمان، أبو بكر الصديق، ويعد اسم علي المتداول أربعة أضعاف مقارنة بالأسماء السابقة الذكر¹.

كما تم اختيار الأسماء التي لها معنى تفاعل كلما تم التلفظ بها؛ مثل اسم "عمار" وهو من "عمر، يُعمر، تَعْمِيرًا"؛ وهو اسم طيب يتبرك به، لأن العمارة في البيوت، فالمولود الجديد ينتظر منه "عمارة الدار".

كما ورد اسم عبد الله، وتم تداول كذلك الأسماء المشتقة من الأوصاف الحميدة والفضائل، جاءت في صيغة الفاعل؛ ومن ذلك نذكر: "صالح"، "الطاهر"، "الحسن"، "مسعود"، "مبارك"، "سعيد"، "البشير".... الخ. كما سمي الجزائريون أبنائهم على أسماء الأنبياء مثل: "إبراهيم"، "عيسى"، "يحيى"، "موسى"، "يوسف"، "إسماعيل".....².

هذه النمطية في تسمية أفراد العائلة؛ لم تمنع تداول بعض الأسماء الدخيلة والنادرة مثل: اسم "تركية" ناتج عن آثار الوجود التركي، واسم "علجية"، واسم "حفصية"³.

2- الحفلات والزرادات:

عادة ما كانت تقام عند القبور والأضرحة؛ إيمانًا بقدره الموتى على رزق الناس بالأطفال والأموال ومنع الضرائب والشفاء من الأمراض والأسقام والإيمان بجدوى التمام والتعاويد في شفاء الأمراض والزهد والتقص في الحياة⁴.

3- المرأة والأسرة:

¹ المرجع نفسه.

² قشي فاطمة الزهراء، المرجع السابق.

³ المرجع نفسه، ص 181.

⁴ شلوسر فنديلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت) ص 84. عبد الله شريط وآخرون، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965، ص.

كانت وضعية المرأة بالمدينة تختلف كثيرا عن نظيرتها بالريف فالمرأة الحضرية هي سيدة بيتها؛ إلا أنها محرومة من الشارع¹ مهما كانت طبقتها الاجتماعية؛ سيما إذا كانت ذات جاه ومال، فلا تخرج وحدها بدون رفقة²، وهي كذلك محرومة من مشاركة الرجل في الحياة العامة³. ولعل من سيئات العهد العثماني عدم إعطاء المرأة نصيبا من التعليم، وهذه الظاهرة عمت كل الجزائر، حيث حرمت المرأة من تعلم القراءة والكتابة حتى لا يكون لها اتصال بالخارج⁴. كما شاع الزواج المبكر في المجتمع الجزائري؛ فكثيرا ما كانت تتزوج البنت وهي لم تتعدى الثانية عشر، كما أنها لم تكن تشارك في الإرث إذا ما تزوجت إلا في ظروف خاصة، كما كانت مبالغة في احترامها لدرجة الاحتشام من ذكر اسمها واعتبر ذلك عيبا من العيوب؛ كقول أحدهم وهو يذكر زوجته " المرأة " أو " العائلة أكرمكم الله " .

كما تميزت الأسرة بسيطرة الأب على أبنائه، وإبقاءهم تحت حمايته وكفالاته حتى بعد زواجهم وإنجابهم للأطفال، مما يجعل الأسرة كثيرة العدد، معقدة المشاكل في الميادين الاقتصادية والاجتماعية.

كما لم يكن يؤخذ برأي الابن أو البنت عند تزويجهما؛ ولم يكن يسمح لهما برؤية بعضهما البعض إلا إذا سمحت الصدف بذلك عرضا، وكان المهر بسيطا غير معقد يطبق فيه رأي وحكم الشرع الإسلامي⁵.

كما كانت الأسرة تفضل إنجاب الأولاد على البنات، ولم يكن يحق للابن أن يكلم زوجته بحضور أبيه وأمه، ولا يتدخل في تسمية أبنائه ولا في تزويجهم مادام أبوه وأمه على قيد الحياة، اللهم إلا إذا خرج عليهما وخاصمهما وهو أمر نادر الوقوع⁶.

والمرأة الحضرية إذا ما خرجت من منزلها لقضاء أغراضها؛ وجب عليها وضع الحجاب. فنتلحف "بحايك" تغطي به جسمها كاملا، وقد فرض هذا الحجاب على كل النساء مهما كانت جنسيتهن، فالمرأة المسلمة تضع " حايكا " أبيض اللون

¹ عبد الله شريط وآخرون، المرجع نفسه.

² شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1990-1991.

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

⁴ سعد الله، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 340-342.

⁵ يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 340.

⁶ المرجع نفسه، ص 341.

وتغطي وجهها بقطعة قماش لا يظهر منها سوى العينان¹؛ بينما اليهودية فقد خصص لها اللون الأسود وكانت بذلك تتميز عن النساء الأخريات، وبالنسبة للمرأة الزنجية فتتجلب هي كذلك " بحايك " يخالف حايك المرأة المسلمة واليهودية، ويكون في أغلب الأحيان أزرق سماوي، وتلتقي الزنجية مع اليهودية في عدم تغطية وجهها²، وجرت العادة أن تذهب المرأة مرة في الأسبوع إلى الحمام الشعبي، وهي مناسبة تظهر فيها الأزياء وتعرض أثناءها النساء ما تملكه من حلي وجواهر، كما كانت المرأة تواظب على زيارة الأهل والأقارب، كما كانت تخرج للترفيه في الحدائق العامة وتخرج لزيارة أضرحة الأولياء الصالحين والمقابر³.
أما فيما يخص لباس الرجال نجد على رأس القائمة " البرنوس "؛ وهو نوع من المعاطف شكله دائري ينسج في وسطه " قلمون"، ويصنع في العادة من قطعة واحدة، شكله يتسم بالبساطة والأناقة، يصنع من الصوف الناعمة البيضاء التي تمزج أحيانا بالحرير عكس البرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء أو الذي يحمل في الأسفار فيصنع من خيوط أمتن. كما نجد في لباس الرجل أيضا السروال الفضفاض والذي تلبس معه " القندورة " و " البرنوس "، وهناك ملابس أخرى منها: الترخيمة، المحرمة (عصابة)، القمجة، العمامة، البلغة⁴.

الدرس الخامس: النشاطات الاجتماعية والثقافية

1-المستوى المعيشي والصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني(الحصّة الأولى)

¹ وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 89.

² Laugier De Tassy, *Histoire du Royaume d'Alger*, Eds Loysel, paris, 1992, p.57.

³ وليام سبنسر، المصدر السابق.

⁴ المصدر نفسه. وليام شالر، المصدر السابق، ص 83.

تعد الأمراض والأوبئة من العوامل التي تتسبب في تأخر المجتمع وضعفه؛ نظرا لما تلحقه من أضرار بالقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والنمو الديموغرافي، ونحاول من خلال هذه المحاضرة معرفة الوضع الصحي للمجتمع الجزائري في العهد العثماني؛ وذلك بدراسة الأمراض والأوبئة المنتشرة في البلاد وإظهار مدى تأثيرها في المجتمع.

1- الأمراض:

إذا استثنينا بعض الأمراض التي كانت تظهر من حين لآخر؛ فإنه يمكن القول أن الجزائر كانت قليلة الأمراض الخطيرة خلال العهد العثماني، ومن الأمراض التي كانت تظهر في بدايتي فصلي الربيع والخريف أمراض العيون كمرض الرممد الذي كان يصيب الأطفال في غالب الأحيان¹؛ وهناك من أرجع أسباب عدم انتشار الأمراض في المجتمع الجزائري إلى اهتمام الأهالي الشديد بالجانب الصحي واعتنائهم بنظافة ملابسهم ومنازلهم، فكانوا يغسلون أيديهم قبل إقدامهم على العمل وأداء الصلاة وتناول الطعام.

ومن عادة الجزائريين أنهم يخلعون أحذيتهم قبل دخولهم المنازل؛ ومما كان يؤكد اهتمام الجزائريين خاصة الحضر بالنظافة، العدد الكبير من الحمامات التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء المدينة، وقد خصصت الإدارة فرقة لتنظيف أحياء المدينة وجمع القمامات، كما زودت مختلف أحياء المدينة بالعيون العمومية². وعلى الرغم من الاعتناء بالجوانب الصحية، فإن سكان الأرياف القاطنين في المناطق السهلية مثل سهل متيجة كانوا يتعرضون للحمى، نظرا لكثرة انتشار المستنقعات. وكانت وطأتها تشتد في فصل الربيع عكس المناطق الجبلية التي يتميز جوها بالصفاء³.

ويبدو من خلال المصادر؛ أن استعمال الطب الحديث في المجتمع الجزائري يكاد يكون منعدما، وقد لاحظ شاو (Shaw)، الذي زار الجزائر في مطلع القرن 12هـ-18م، أن الجزائر كانت تفتقر إلى الأطباء، وأرجع ذلك إلى قلة الأمراض الخطيرة أو انعدامها نهائيا. وإذا كان بعض المسؤولين والأعيان في المدن

¹ ناصر الدين سعيديوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 54.

² جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تر وتع أبو قاسم سعد الله، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

³ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 66.

الكبرى يضطرون إلى الاستعانة بأطباء أوروبيين إن وجدوا، وكان معظمهم أسرى في الجزائر؛ فإن الأهالي كانوا يلجأون إلى التداوي بالأعشاب لعلاج الحمى والإسهال، وإلى إتباع الطرق التقليدية الأخرى كالاستعانة بالتمائم التي كان يعدها الطلبة، وهذه الطرق - كانت تساعدهم على الشفاء أحيانا¹.

كما كان الأهالي يعالجون الأعضاء المصابة في الجسم إما ببترها أو بكيها؛ وكانت عملية البتر تتم بضربة سيف، أما كي الأعضاء المريضة فكان يتم بحديد متوهج ثم يطلي المكان المكوي بالقطران ويكررون العملية عدة مرات وذلك حسب شدة المرض ومدى قدرة تحمل المريض².

كما كانت المرأة وبصفة خاصة الريفية؛ عرضة لكثير من الأمراض بسبب قيامها بالأعمال الشاقة وقلة اعتنائها بالنظافة إلى جانب كثرة الولادات وعدم توفر الشروط الصحية المناسبة وهذا ما أفادنا به حمدان بن عثمان خوجة في مرآته³.

ومن الأدوية الناجعة التي كانت تستعمل في علاج الحمى أقراص الكين أو الكينة⁴؛ أما الجروح الناجمة عن الأسلحة النارية والبيضاء، فإن الأهالي كانوا يعالجونها بطرق مختلفة؛ فكانوا يضعون الزبدة الطرية على الجرح بعد تسخينها، كما كانوا يستعملون أوراق الصبار بعد تحميمها ربع ساعة في الرماد لمعالجة الأورام والالتهابات والقرحة والنقرس. كما كانت تستعمل نبتة المقرمان لمعالجة الجروح والتخفيف من آلام الحوض، فكانت توضع كمية منها بعد تسخينها على مستوى حوض المريض وتحزم بحزام من الصوف أو القماش. وهناك مجموعة أخرى من النباتات والأعشاب يحضرون منها مشروبا ساخنا يتناوله المريض⁵.

أما الاضطرابات النفسية التي غالبا ما يرجعها الأهالي إلى الجن؛ فإنهم كانوا يعالجونها بالبخور والجاوي والتمائم وزيارة أضرحة الأولياء والزوايا والذباح.

1 فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص ص 182، 196.

2 بوحجرة عثمان، المرجع السابق، ص 69.

3 حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص 36.

4 عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 84.

5 الزين محمد، المرجع السابق، ص 253.

لقد شيّد أول مستشفى بالجزائر في عهد حسن بن خير الدين بايلرباي الجزائر في عام 956هـ-1549م؛ وهو يحتوي على خمس غرف، إلا أنه كان يفتقر إلى التجهيزات والأدوية الضرورية¹.

وإذا كان الأهالي غالبا ما كانوا يجدون العلاج المناسب للأمراض العادية، على بساطة وسائلهم وطرق علاجهم؛ فإنهم عجزوا عن مواجهة الأوبئة الخطيرة التي كانت تتعرض لها البلاد خلال العهد العثماني من فترة إلى أخرى؛ مثل الطاعون والكوليرا والجذري والتيفوس، التي كانت تفتك بأعداد كبيرة وتؤثر سلبيا على الحياة العامة، لأنها من الأسباب الرئيسية التي كانت تتسبب في انخفاض عدد السكان في الجزائر كلما ظهرت فيها.

2-الأوبئة:

بالرغم من أن الجزائر كانت تتمتع ببيئة صحية مقبولة خلال الفترة العثمانية؛ إلا أنها لم تسلم من الوباء الذي أصابها عبر سنين طويلة ومتفرقة مما انعكس بالسلب عليها. وقد شكل وباء الطاعون أخطر مرض عانى منه الجزائريون خلال هذه الفترة والذي ألم بهم في المدن والأرياف ولم يسلم أحد منه، إذ تضررت منه مدينة الجزائر والمناطق الغربية من البلاد خصوصا في القرن 17م ومناطق وهران وتلمسان، كما أصاب معظم المناطق الواقعة على السواحل بسبب المناخ الرطب وانتشار المستنقعات. ويذكر Berbrugger أن تاريخ ظهور وباء الطاعون بالجزائر كان عام 1552م واستمر في الظهور على فترات معينة إلى غاية عام 1822م². كما يشير Boutin في تقرير له أن الطاعون كان يأتي دائما من المشرق ولم يكن ناتج عن البيئة الجزائرية³.

أولا: التعريف بوباء الطاعون

يعتبر وباء الطاعون من الأمراض القديمة والمعدية التي تصيب الإنسان والحيوان بسبب بكتيريا تحملها القوارض والبراغيث التي سكنت منازل وأماكن عمل الإنسان وتُسبب له الموت. يعرفه ابن المنصور بأنه "المرض العام والوباء

¹ Berbrugger adrien, *Mémoire sur la peste en algérie depuis 1552 jusqu'au 1819*, Imp royale, Paris, 1848.

² ibid , P.205.

³ Boutin.y, *reconnaissance des villes, forts et batteries d'alger*, publiée par G.Es in C.D.I.H.A, paris, 1927, p.67.

الذي يفسد له الهواء فتفسد له الأمزجة والأبدان"¹ ويعرفه العسقلاني بأنه "مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحدا بخلاف بقية الأوقات فتكون الأمراض مختلفة"². ويذكره ابن خلدون بأنه الموتان وسببه في الغالب فساد الهواء وكثرة المجاعات³.

وعن طبيعة وباء الطاعون يصفه لنا المشرفي بقوله: "فكان موته موت بغتة وفجأة، كم من واحد مات فيه بالحيرة والدهشة؛ حيث يرى الإنسان أخاه يمشي صحيحا فيسقط ميتا، وقل من جاوز في تلك المدة أربعة وعشرين ساعة... وبنفس ما ينقاس به الإنسان فيتغير حاله وتشوه خلقتة وتقع اللكنة في لسانه فيلجلج مقاله، وتزبخر أظفار يديه ورجليه، كأنها صبغت بنيلة. ولما يرى الصحيح تشويه خلقة المريض يحصل له الجزع والفرع ويختل عقله وتكاد النفس منه تفيض"⁴.

ونجد للطاعون ثلاثة صور أولها: الطاعون الدملي المتمثل فيتورم العقد اللمفاوية التي غالبا ما تكون تحت الإبط ويشكل هذا النوع حوالي ثلاثة أرباع حالات الطاعون؛ وصفه المشرفي العربي بقوله بأنه يظهر دملة كحبة الجوز في إبط المصاب ويسود ما حولها أو يحمر، ثم يبدأ المصاب في القيء والإسهال ذو الرائحة النتنة. وثانيهما: الطاعون الرئوي وتصاب فيه الرئتان على نطاق واسع مما يؤدي إلى الوفاة خلال ثلاثة أيام أو أربعة. وثالثها: الطاعون التسممي أو الدموي وهي الحالة التي تكون فيها جرثومة الطاعون في الدم⁵.

ثانيا سنوات وباء الطاعون بالجزائر خلال الفترة العثمانية:

سننترق في هذا العنصر إلى أهم سنوات وباء الطاعون الذي أصاب الجزائر خلال الفترة العثمانية الممتدة من (1516-1830)، وفي هذا نجد:

طاعون عامي 1557 و1575م تصفه الباحثة فلة موساوي القشاعي

بالظاهرة العامة بعد أن اجتاحت مناطق جديدة ظلت بعيدة عن الإصابة به؛ كما تشير

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، دار البصائر، بيروت، لبنان، ص 169.

² العسقلاني أحمد بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، ص 23.

³ عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح عبد الله محمد الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق.

⁴ محمد الأمين بزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 171.

⁵ العسقلاني أحمد بن حجر، المصدر السابق، ص ص 23-24. محمد الأمين بزاز، المرجع السابق، ص ص 90-91.

الباحثة نفسها أن القرن السادس عشر تميز في تاريخ الجزائر بكونه فترة تأصل وتجذر لوباء الطاعون في مناطق عديدة منها: مدينة الجزائر وضواحيها وجهات وهران وتلمسان وبعض النواحي من الشرق الجزائري¹.

كما تذكر لنا بأن سنة 1572 هي أكثر السنوات تأثرا بالطاعون، بسبب هلاك ثلث سكان إيالة الجزائر الذي ظل مؤثرا طيلة القرن السادس عشر خصوصا في الربع الأخير منه في المجتمع الجزائري، ليتراجع بعدها طيلة ست سنوات من سنة 1584 إلى سنة 1590 رغم الجفاف والمجاعات التي كانت متفشية خلال هذا القرن².

طاعون عام 1654 عُرف بوباء قونية؛ نقله البحارة العثمانيون إلى شمال إفريقيا واستمر لمدة ثلاث سنوات وذهب ضحيته حسب بعض المصادر ما يقارب العشرة آلاف أسير مسيحي ونحو ثلث سكان الجزائر³.

طاعون عام 1664 يذكر بن العنتري بأنه قضى على خلق كثير⁴.

اعتبرت الباحثة المذكورة سابقا أن القرن السابع عشر تميز بتعاقب وباء الطاعون واستمرار الجزائريين في المعاناة من ويلاته بسبب استمراره في كل من تونس ومصر وطرابلس⁵.

كما ذكرت أيضا أنه مع القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر؛ تكرر ظهور وباء الطاعون مدة 63 سنة في مدينة الجزائر وحدها، لينتشر بعدها في كامل البلاد الجزائرية شرقا وغربا نتج عنه موت كثير بشكل مستمر ومتزايد خلت منه الديار والمنازل⁶ وفي هذا نجد:

¹ القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1871-1518، الجزائر، جامعة الجزائر، (2003-2004)، ص 138.

² المرجع نفسه، ص 139.

³ عزيز سامح إلتز، المرجع السابق. Panzac, D, **La peste dans l'empire Ottoman 1700-1850**, Ed. peaters, Louvain , 1985, p.236.

⁴ محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 48.

⁵ القشاعي فلة موساوي، المرجع السابق، ص 139.

⁶ المرجع نفسه، ص 141. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة...، المرجع السابق، ص ص 39-40.

طاعون الفترة من 1756 إلى 1786 أضر كثيرا بسكان مدينة عنابة الواقعة بالشرق الجزائري بعد أن عمّها الوباء وانتشر في كل أرجائها مما تسبب في موت كثير من الخلق وصل إلى 100 وفاة في كل يوم¹.

طاعون عام 1787 تسبب في موت ثلثي سكان مدينة عنابة وأدى إلى هلاك أكثر من ستة عشرة ألف نسمة بمدينة الجزائر من المسلمين والأسرى واليهود².

طاعون عام 1790 عرف باسم الوباء الكبير لبقائه فترة أطول؛ يذكر الشريف الزهار أنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية³.

طاعون عامي 1793-1794 أصاب مدينة الجزائر بسبب بحارة قدموا من القسطنطينية لتتنقل العدوى والأضرار إلى مختلف الجهات خصوصا مدينتي وهران وقسنطينة وضواحيهما⁴.

طاعون 1799 لقد وردت الإشارة إلى هذا الطاعون بكيفية عابرة في جريدة المونيتور، فيذكر صاحب المقال: "أنه حل بمقاطعة قسنطينة وانتشر حتى وصل إلى الجنوب حيث صار الموت يحصد يوميا ما بين مائة ومائة وعشرين شخصا"⁵.

طاعون الأعوام من 1816 إلى 1819 تميز طاعون هذه الأعوام بخطورته وانتشاره الواسع، وارتبط ظهوره بحركة الأسطول الجزائري واحتكاكه الدائم بموانئ المشرق التي كانت مصدرا لمختلف أوبئة الطاعون.

ففي سنة 1816 أصيب سكان مدينة عنابة بالعدوى نتيجة قدوم بارجة أهداها الصدر الأعظم للداي في يوم 8 ماي من نفس السنة، كما حصلت العدوى معهم سنة 1817 عن طريق سفينة الحجاج القادمة من الإسكندرية. أما عن انتشاره خلال هذه السنة فيعود سببه إلى سفينة سويدية قدمت من أزمير⁶.

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط.2، دار البصائر، الجزائر، 2008.

² ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 89.

³ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق.

⁴ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 52. ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 127.

ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 89.

⁵ محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه.

⁶ المرجع نفسه، ص ص 52-53.

كما عرفت مناطق الغرب الجزائري وباء الطاعون سنتي 1818 و1819م خصوصا مدينة وهران التي بلغ عدد القتلى بها سبعة آلاف مما ساهم وسهل في انتشار العدوى التي أصابت الثكنات أيضا؛ ويفيدنا الحاج أحمد شريف الزهار بإشارة إلى عدد ضحايا الطاعون بقوله: "وكان الوباء قد اشتعلت ناره؛ وفي يوم سفرنا وقت الضحى وصلت مائة جنازة"¹.

ومما وجب أن نشير إليه؛ وهو أن وباء الطاعون بدءا من سنة 1238هـ—1822م اختفى بصفة نهائية من الجزائر والأقطار المغاربية عامة²؛ وأسباب ذلك تعود إلى:

- قلة الوافدين من الولايات العثمانية المشرقية؛ إذ سُجل في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر تراجع عدد المجندين من المشرق؛ خاصة بعد أن قام السلطان العثماني محمود الثاني بالقضاء على الفرق الإنكشارية في عام 1242هـ—1826م.

- الحصار البحري الذي فرضه الأسطول الفرنسي على السواحل الجزائرية؛ حيث منع التجار والحجاج والطلبة والجنود من التنقل إلى الجزائر أو الخروج منها. كما عرفت الجزائر القحط والجفاف في بداية القرن 11هـ—17م؛ إذ تواصل مدة تسع سنوات كاملة أدى إلى حصول مجاعات حادة خلفت ضحايا كثيرة³.

¹ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 144.

² القشاعي قلة موساوي، المرجع السابق، ص 112-113.

³ مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2017-2018، ص ص 24-25.

الدرس السادس: النشاطات الاجتماعية والثقافية
2-المستوى المعيشي والصحي (الحصة الثانية)

ثالثا: دوافع انتشار وباء الطاعون بالجزائر خلال الفترة العثمانية:

أصاب وباء الطاعون الجزائر خلال الفترة العثمانية عبر سنوات طويلة ومتفرقة تسبب في وقوع الكثير من الأضرار، ويذكر حمدان خوجة أن الطاعون شوه خلقة الجزائر بعد أن كانت عذراء مستحنة وأقفر معالم البلاد وشوش أحوال العباد¹.

وقد ساهمت جملة من الدوافع بإيالة الجزائر في انتشار وباء الطاعون خلال الفترة العثمانية بشكل واسع في مدينة الجزائر والمناطق الغربية من البلاد كمدينة وهران وتلمسان ومعظم المناطق الواقعة على السواحل، ولم يكن وباء الطاعون وليد البيئة الجزائرية والمعلوم أنه أتى من البلدان المشرقية عبر طرق التجارة والحج²؛ وبصفة خاصة من المدن التركية كإزمير ومن الإسكندرية وتونس.

وقد ساهمت الواجهة البحرية في شمال الجزائر بدور كبير في انتشاره لانفتاحها واتصالها بالعالم الخارجي ولولا حركة السكان المستمرة وتنقلاتهم الدائمة في الداخل والخارج وحركة السلع والبضائع التي ارتبطت بها لا ما عرفت

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 16.

² علامة صليحة، تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون، الجذري، التيفوس، الملاريا)، مجلة القرطاس(2)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2015.

الجزائر هذا الوباء¹. لهذا فإن أول من كان يتعرض له هم عمال الموانئ، وكان أغلبهم من البساكرة، ثم يصيب الأسرى المسيحيين بحكم إقامتهم في السجن الواقع بالقرب من الميناء؛ لينتقل الوباء بعدها إلى وسط المدينة ليحصد عدد كبير من الجنود المقيمين بالثكنات، ثم يقضي على عمال الحمامات العمومية وأغلبهم من بني ميزاب. وبعد ذلك يتسرب الوباء إلى الأحياء الشعبية حيث تكثر الأوساخ والقاذورات. وسرعان ما كان الوباء ينتقل من المدن الساحلية إلى المدن الداخلية ليقضي على القرويين.

ويبدو أن الريفيين الذين كانوا يشغلون في المدن هم السبب الرئيسي في نقل العدوى إلى قراهم؛ وهذا ما تؤكد لنا رسالة بعث بها القنصل الفرنسي إلى مرسوله بمدينة عنابة في جانفي 1793 جاء فيها أن وباء الطاعون أصاب العاملين بمدينة الجزائر من البساكرة وانتقل بعدها إلى الأرياف²؛ وهو القول نفسه وجدناه عند أحمد الشريف الزهار: "عندما بلغت المراكب المهداة من استانبول جاء معها الوباء إلى الجزائر واشتعلت ناره سنة 1817م، وكان الوباء يتسرب إلى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر، لذا نجد أول من كان يصاب به هم عمال الموانئ وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد"³.

وكننتيجة لما سبق ذكره نجد أن الموانئ الجزائرية كانت دافعا قويا في انتشار وباء الطاعون خلال الفترة العثمانية لارتباطها بموانئ تركيا ومصر والتي كانت مهمتها نقل الحجاج أو البضائع أو فرق الجيش أو الأسرى⁴. ومما ساعد على انتشار وباء الطاعون أيضا عدم التزام السلطة العثمانية بتطبيق الإجراءات الصحية الوقائية كالحجر الصحي بطريقة صارمة وفعالة؛ فكثيرا ما كانت تنتقل العدوى بسبب عدم العمل بالشروط الصحية كزيارة المصابين بالطاعون مثلا⁵.

¹ Berbrugger adrien, op.cit, p.241.

² Marchika, **la peste en afrique septentoriale, histoire de la peste en algerie de 1363 à 1830**, julien carbonel, Alger, 1927.

³ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق.

⁴ القشاعي فلة موساوي، المرجع السابق، ص ص 143-144.

⁵ غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، 7(2)، 30 جويلية 2020.

وإلى جانب هذه الدوافع التي ساهمت في انتشار وباء الطاعون بالجزائر خلال الفترة المذكورة والتي كان العامل البشري سببا فيها؛ نجد دوافع أخرى ارتبطت بالعوامل الطبيعية متمثلة في موجات الجفاف التي اجتاحت الجزائر لفترات طويلة تسببت في اندثار الغطاء النباتي وظهور المجاعات وغزو الجراد وظهور الأوبئة التي أثرت سلبا على الأحوال الصحية للسكان¹. أضف إلى هذا خصائص مناخ الجزائر المتميز بالرطوبة ساعد كثيرا على تكاثر البراغيث المعدية للوباء². وانتشار المستنقعات بالسهول الساحلية حول المدن الكبرى مثل عنابة ووهران والجزائر³.

رابعا: انعكاسات وباء الطاعون على الجزائر خلال الفترة العثمانية:

خلف وباء الطاعون انعكاسات خطيرة على المجتمع والاقتصاد في الجزائر خلال الفترة المذكورة تمثلت في:

أ- الانعكاسات الاقتصادية:

كان للوباء الذي تعرضت له الجزائر خلال العهد العثماني انعكاسات خطيرة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية؛ فقد أدى إلى تناقص عدد السكان في المدن والأرياف بشكل محسوس، حيث تناقصت اليد العاملة وتناقص عدد البحارة، وكان لذلك آثار سلبية على القطاعات الاقتصادية المختلفة؛ فقد سجل في عام 1787م ارتفاع كمية الصوف المصدرة إلى الخارج من مدينتي عنابة والجزائر؛ لأن عددا كبيرا من الناسجين راحوا ضحية الوباء الذي اجتاح البلاد. كما انخفض عدد الحرّارين الذي يصنعون الأحزمة؛ وهذا ما جعل تلك الصناعة تعرف تدهورا ملحوظا، إذ قل إنتاجها، مما تسبب في انخفاض الكمية المصدرة إلى تونس والدول الأوروبية، وكان الأجانب يفضلونها عن غيرها لجودتها وألوانها.

¹ بن العنتري محمد الصالح، المصدر السابق. ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 414.

² القشاعي فلة موساوي، المرجع السابق، ص 142.

³ ناصر الدين سعيدوني، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 76، أغسطس 1983.

وقد أدى الوباء إلى حدوث أزمة اقتصادية نتيجة إتلاف الحرث والزرع وارتفاع الأسعار وقلة الإنتاج خصوصا في الأرياف؛ تسببت في انكماش الأراضي الصالحة للزراعة وتقلص الثروة الحيوانية¹.

وقد ارتفعت الصادرات الجزائرية من الحبوب؛ لوفرة القمح بسبب الاستقرار الذي عرفته البلاد في عهد الداوي محمد بن عثمان 1180-1206 هـ/1766-1791 م والذي شجع على تطوير الزراعة.

ب- الانعكاسات الاجتماعية:

أما بالنسبة لانعكاسات الوباء على الجوانب الاجتماعية؛ فكانت هي الأخرى سلبية وخطيرة تمثلت في تناقص عدد السكان؛ فيذكر هايدو بأن عدد سكان مدينة الجزائر في أواخر القرن 16م قدر بحوالي 100 ألف ساكن، بينما هناك رسالة محررة سنة 1630م من أحد الفرنسيين يُدعى جيرني كانت موجهة لأحد مستشاري الملك تذكر أن عدد سكان الجزائر بلغ أكثر من 200 ألف نسمة سنة 1621م غير أن الطاعون أتى على ما بين 50 و60 ألفا. وفي أواخر القرن الثامن عشر قدر بارادي سكان مدينة الجزائر بخمسين ألف نسمة²، هذا التناقص كانت نتيجة التدهور الذي أصاب إيالة الجزائر من الناحية الصحية والمعيشية مما أثر سلبا على الوضع الديمغرافي³.

فقدت مثلا الخسائر البشرية خلال سنتي 1817-1818 بأكثر من ثلاثة عشرة آلاف شخص في مدة شهر واحد و2272 شخص في وباء سنة 1822⁴، وإضافة إلى الانعكاسات على النمو الديمغرافي، فإن وباء الطاعون قد تسبب في تحولات جذرية في نمط حياة بعض القبائل؛ فاندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها، وتحول الفلاح في الريف من حياة الاستقرار إلى حياة الترحال بحثا عن الكلاً للمواشي وهروبا من دفع الضرائب⁵؛ كما طرح الوباء مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف.

¹ بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م (مقاربة اجتماعية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2014-2015، ص 48.

² المرجع نفسه.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 461.

⁴ علامة صليحة، المرجع السابق، ص 211.

⁵ بوحجرة عثمان، المرجع السابق، ص 48.

وبالرغم من أن وباء الطاعون كانت له أضرار وخيمة على المجتمع والاقتصاد في الجزائر؛ إلا أن الحكام العثمانيين لم يهتموا بالميدان الصحي باستثناء ما طبقوه من إجراءات وقائية كنظام الحجر الصحي في غالبية الأحيان بعزل المصابين بالوباء عن غيرهم من الأصحاء أو عدم السماح للحجاج بالنزول من السفن إلا بعد التأكد من سلامتهم من الطاعون وهو ما يؤكد لنا ابن حمادوش بقوله: "وفي ثالث رجب 1157هـ/1744م قدم علينا مركب من الإسكندرية حاملا الحجاج وفيه الوباء، فمنعهم الباشا الدخول خشية انتقال المرض إلى المدينة، إلى ثامن عشر من نفس الشهر فأذن لهم في الدخول بعد تحقق سلامتهم من المرض المذكور"¹.

وكثيرا ما كانت السلطات العثمانية تقوم بغلق الموانئ لمنع دخول القادمين إليها ومنع أي اتصال بالبواخر الغير معروفة².

كما اتخذت إجراءات احترازية أخرى للحد من انتشار الوباء؛ كحرق الأعشاب العطرية وسط ساحة المنزل واستعمال الحواجز بين المريض، واستعمال الملاقط الطويلة لرفع أغراض المريض وإدخالها مباشرة في مادة الخل، إضافة إلى مجموعة من الأدوية المستعملة للعلاج³.

ومما سبق ذكره؛ نجد أن وباء الطاعون ساهم كثيرا في تردي الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني خصوصا وأنه كان يتكرر بصفة دائمة ومستمرة. وفي المقابل لم نجد له أي أثر من العثمانيين للحد من انتشاره مما كان له انعكاسات خطيرة على الاقتصاد والمجتمع خلقت الكثير من المعاناة والقلق لدى الجزائريين بدوا كانوا أو حضرا.

ولم يكن هذا الوباء وحده المتسبب في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية؛ بل هناك أوبئة أخرى لا تقل خطورة ساهمت هي الأخرى في تردي الأحوال نذكر منها:

- الجذري:

¹ عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص 121.

² Marchika, op.cit, pp.141-142

³ مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 21.

تعرضت الجزائر للجذري عدة مرات؛ وهو مثله مثل وباء الطاعون معد وفتاك خصوصا عند الأطفال، تتسبب فيهحمة (فيروس). يظهر على شكل بقع حمراء على الجلد، ثم تتحول إلى حويصلات صلبة جدا. وكان الأهالي يعالجونه بترك المريض في غرفة معتدلة الحرارة ويناولونه من حين لآخر بعض حبات من التين المجفف الممزوج بالعسل، ويستمررون في هذه العملية حتى تخرج البثور على جسم المريض، ثم يحكونها بالزبدة الطرية لإزالة آثارها، ويضعون الكحل على عيون المريض لوقايتها من الإصابة بالجذري¹.

- التيفوس:

ارتبط بسنوات المجاعة؛ ويُسمى أيضا بالهواء الأصفر، وهو نوعان:
1-التيفوس الطفحي: يُعرف أيضا بالنمشي؛ وانتشر بين صفوف الفرق العسكرية الإسبانية المتمركزة ببجاية، وقد تضرر السكان منه بصورة شديدة في أوت 1826.

2-التيفوسالمورين(Typhus Murin):سببه برغوث الفأر الناقل له؛ تتمثل أعراضه في ارتفاع حرارة الجسم مع صداع شديد وطفح جلدي شديد².

- حمى المستنقعات أو حمى الملاريا:

من الأمراض المعدية التي تتسبب فيها جرثومة لافران حيث تنتقل إلى الإنسان عن طريق لسعة بعوضة الأنوفيل³، عانى منها سكان سهل عنابة ومنتجة بوجه خاص؛ وهي الإفادة التي ذكرها لنا العالم النباتي دي فانتان الذي زار المنطقة خلال القرن الثامن عشر من أنّ هواء منتجة مضر للغاية في فصل الصيف نتيجة تراكم المياه خلال فصل الشتاء⁴، وقد أكدها حمدان خوجة عند حديثه عن سهل منتجة أنّ هذا السهل يشبه الغدير في الشتاء، وفي الصيف والخريف تستوطنه الحمى باستمرار إلى درجة أنّه من الصعب جدا اتقاؤها⁵.

¹ عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 36، الجزائر، 1993، ص 126. علامة صليحة، المرجع السابق، ص 215.

²بوحررة عثمان، المرجع السابق.

³ علامة صليحة، المرجع السابق.

⁴ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 66.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق.

أما في مدينة القالة فإنّ من يصاب بمرض الحمى كان لا يجاوز يومه الرابع ويفارق الحياة، وأنّ معظم سكان الجزائر كانوا عرضة للحمى بأنواعها المختلفة الحمى المثلية والحمى الباردة...¹.

- الكوليرا:

مرض بكتيري عادة ما ينتشر عن طريق الماء الملوّث، مما يؤدي إلى الإصابة بإسهال وجفاف شديد، وإذا لم يتم علاجها فإنها تكون قاتلة خلال ساعات. والجزائر عرفت الكوليرا ما بين 1817 و1823م وخلفت بمدينة قسنطينة مثلا حوالي 700 من الموتى². ويذكر أحمد باي أنّ قسنطينة قد أصابها الكوليرا التي سماها بالريح الأصفر والذي يجعل من الرجل الصحيح في لحظة جثة هامدة، واعتقد أنّها انتقام من عزرائيل للبلاد والعباد³.

وعلاوة على هذه الأوبئة فقد ساهمت الكوارث الطبيعية مثل القحط والجفاف والمجاعات والجراد والزلازل والفيضانات في تدهور الأوضاع العامة. وسنتطرق في هذه المحاضرة إلى المجاعات التي عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية من خلال التعريف بها وذكر عواملها وانعكاساتها.

¹ عائشة غطاس، الوضع الصحي...، المرجع السابق، ص 127.

² علامة صليحة، المرجع السابق، ص 169.

³ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، تق وتحرر محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

الدرس السابع: النشاطات الاجتماعية والثقافية
3-المستوى المعيشي والصحي (الحصّة الثالثة)

المجاعات:

يُعرّف ابن منظور **المجاعة على أنها** مفعلة من الجوع، ومن الفعل جاع يجوع، والجوع نقيض الشبع، والمسغبة هي المجاعة فنقول إذا دخل الرجل في المجاعة (أي أسغب) فهو مُسغب، كما تقول أقحط الرجل إذا دخل في القحط¹. أما اصطلاحاً فقد تعددت المفاهيم التي أطلقت على لفظ المجاعة رغم دلالتها المرتبطة بنقص الغذاء أو انعدامه، فهي ظاهرة اقتصادية واجتماعية عرفت منذ قرون بعيدة حلت في مختلف الحضارات والدول². وعلى غرار الكثير من البلدان الأخرى؛ شهدت الجزائر على امتداد تاريخها مجاعات كثيرة، منها تلك التي عرفت في العصر الحديث خلال الفترة العثمانية، والتي كان لها أثر في تردي الأحوال الصحية وتهيئة الأرضية لاشتداد وطأة الأوبئة التي غالباً ما كانت تصاحبها³، وقد تسببت فيها عدة عوامل نذكر منها:

1-العوامل الطبيعية: ونجد بصفة خاصة:

أ-غزوات الجراد:

تذكر لنا المصادر التاريخية أن الجزائر كثيراً ما كانت تتعرض لموجات الجراد خصوصاً في أوقات الجفاف مما يتسبب في إتلاف المزروعات وظهور

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ص 727- 728.

² علي محمود حمود، المرجع السابق، ص 92.

³ مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 199. أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659م-1671)، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013م.

المجاعات والوباء¹، وفي هذا يذكر دي غرامونت أنّ الجراد غزا المحاصيل الزراعية بالجزائر وأتلفها فكانت مجاعة سنة 1779م²؛ وهو القول نفسه لوليام شالر في مذكراته بأنّ جحافل الجراد غزت الجزائر في صيف سنة 1810 ودمرت كل ما هو أخضر مما جعل الداوي يصدر الأوامر إلى عدة مئات اليهود للخروج لوقاية حدائقه وبساتينه الشخصية³.

كما يفيدنا في هذا السياق أحمد الشريف الزهار بأنّ موجات الجراد كانت تصاحبها حالات الغلاء مثل ما حدث في سنة 1230هـ-1815م⁴. كما كان يُمنع خلالها تصدير الحبوب إلى الخارج وهو ما حدث في سنة 1816 حينما اجتاحت الجراد منطقة التل وأتلف الإنتاج الفلاحي، وللد من حدة أزمته أصدر الداوي قرارا يقضي بمنع تصدير الحبوب في قسنطينة ووهران⁵.

ب- الجفاف والقحط:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني سنوات جافة نجم عنها القحط، وتسبب في صعوبة المعيشة للجزائريين، وألحق أضرارا كبيرة بالاقتصاد خصوصا في مجال الفلاحة والحرف المعتمدة على وفرة الماء. فنزول المطر يعني حلول الرخاء وعكسه يعني حلول القحط⁶. ففي سنة 1661م انتشرت المجاعة بين الجزائريين بسبب الجفاف⁷. كما شهد القرن التاسع عشر ميلادي بسببه ندرة في الغذاء بالأسواق مما أدى إلى انتشار الغلاء⁸.

¹ مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (957-588هـ/1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري بقسنطينة، 2009، ص 117. خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945 بقالة، 2019، ص 76-77.

² Henri Delmas de Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515- 1830)**, Ernest leroux éditeur, Paris, 1887.

³ وليام شالر، المصدر السابق، ص 90.

⁴ الحاج أحمد شريف الزهار، المصدر السابق.

⁵ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 59-60.

⁶ محمد الزين، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2012.

⁷ كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014، ص 15.

⁸ حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 163.

ج-الزلازل:

ساهمت الزلازل على انتشار المجاعات نتيجة ما ألحقته بالفلاحة من دمار وهجرة السكان وتحول الفلاحين من الحقول¹.

ومن هذه الزلازل على سبيل المثال نجد الزلزال العنيف الذي ضرب مدينة الجزائر في أوائل فبراير من عام 1716م، والذي تسبب في مقتل ما لا يقل عن عشرين ألف نسمة وتهدمت أغلب الدور وتصدع الجامع الكبير، ثم تبعته زلازل أخرى في سنوات 1723 و1724 و1755م²، لتتكرر هذه الزلازل حتى عام 1815 أين ضرب الزلزال مدينة البليدة التي دمرها ومات فيها الكثير من الناس³. كما ضرب الزلزال مدينة وهران في أكتوبر من سنة 1790 حطم كل منازلها وحصونها وقلاعها ومات بها أكثر من ثلاثة آلاف نسمة من سكانها وجندها ومن بينهم الحاكم العام الإسباني بالنيابة دون نيكولا غارسيا⁴.

2-العوامل البشرية:

أ-الفتن والحروب:

تعد الفتن والحروب من أبرز الحوادث التي هددت حياة وأمن سكان الجزائر، وانقسمت إلى ثورات داخلية من طرف القبائل المعارضة للسلطة العثمانية، وإلى تحرشات أوروبية متكررة على الجزائر، وقد كان لها أثر على حدوث المجاعات نتيجة الأزمات الصحية والغذائية التي أحدثتها. ومن هذه الثورات نجد ثورتي أحمد بن صخري وبلاد القبائل⁵، وثورتي الشريف بن الأحرش وعبد الله الدرقاوي بشرق البلاد وغربها⁶.

ب-تأثير عدم الاحتراز من الأوبئة:

سبق وأن ذكرنا في هذه المحاضرة أنّ انتشار الأوبئة كان لها دور بارز في سوء الأوضاع الاجتماعية والمعيشية، مما تسبب في ظهور المجاعات في أوساط

¹ محمد الزين، المرجع السابق.

² ابن المفتي، المصدر السابق، ص 77. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 67.

³ الحاج أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 155.

⁴ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1792-1492)، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، دت، ص 523 جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، ط.خ، دار الرائد، الجزائر، 2010.

⁵ أمين محرز، المرجع السابق، ص 172.

⁶ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 58.

المجتمع الجزائري في مختلف أرجاء البلاد فغالبا ما كانت تصاحبها. مما فرض ضرورة الاحتراز منها لتفادي حدوث الجوع، وفي هذا يحث حمدان خوجة على ضرورة الاحتراز من الأوبئة بقوله: "...مما اشتملت عليه هذه الرسالة المحكمة من جواز التحفظ عن القرف والوباء موافق لفتاوى أكثر أعلام الفقهاء على أن تحرز الإنسان من ذلك المرض الساري..."¹.

3-العوامل الاقتصادية: لقد كان للعوامل الاقتصادية أيضا دور في انتشار المجاعات في الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ وتمثلت في:

أ-احتكار القمح والحبوب:

تعتبر الحبوب من المحاصيل الزراعية الهامة في الجزائر وبصفة خاصة القمح باعتباره الغذاء الأساسي لمعظم السكان، وبالرغم من وفرة التي كانت تصدر إلى الخارج كفرنسا وإنجلترا...، إلا أنه كان يعرف فترات للندرة والنقص خصوصا عندما يكون العام جافا أو بسبب احتكار بعض اليهود لتجارته بيعا وشراء كشركة بكري وبوشناق في أواخر العهد العثماني بالجزائر؛ وهو ما كان له انعكاسات سلبية على النظام المعيشي للسكان بحدوث المجاعات وغلاء الأسعار. وفي هذه الحالات كانت تلجأ الدولة إلى الاستيراد من الخارج، وهو العمل الذي قام به مثلا مصطفى باشا عندما حدثت المجاعة في سنة 1800م باستيراد القمح من موانئ البحر الأسود لتوزيعه على السكان². وأيضا الباي محمد الكبير قام باستيراد القمح من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وأشرف هو بنفسه على عملية توزيعه على السكان³.

ب-عدم استقرار أسعار الموارد الغذائية:

ارتبطت الأسعار بقانون العرض والطلب؛ فكثيرا ما كانت الأمراض الخطيرة والأوبئة والآفات الطبيعية المتمثلة في سنوات الجفاف وفترات الفيضانات واجتياح الجراد وهبوب العواصف سببا في حدوث المجاعات وهلاك المزارعين

¹ حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء، تق وتح محمد بن عبد الكريم، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968.

² صالح العنتري، المصدر السابق. حنيفة هلايلي، المرجع السابق، ص 163. خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص 108.

³ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق.

وإتلاف المحاصيل وتناقص الإنتاج وبالتالي ارتفاع الأسعار¹. أضف إلى ذلك الظروف الاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها الفلاح من أمراض وجهل بمسائل الوقاية وسوء التغذية تأثير سلبي على معنوياته، والحد من قدرته الإنتاجية².

فعدم استقرار أسعار المنتوجات الغذائية وارتفاعها وتدهور القدرة الشرائية للمحتاجين كان من بين العوامل التي أدت إلى حدوث المجاعات في الجزائر وبصفة خاصة في أواخر العهد العثماني خاصة ما بين 1779م إلى 1811م³.

أهم المجاعات التي تعرضت لها الجزائر خلال الفترة العثمانية:

شهدت الجزائر خلال هذه الفترة عدة أزمات غذائية متكررة لأسباب السالفة الذكر والتي تحكمت في قلة الإنتاج الزراعي، والتي ساهمت بالتالي في ظهور المجاعات والتي نجد منها على سبيل المثال:

- مجاعة عامي 1579-1580م: يذكر هايدو أنه خلال شهر واحد مات بسبب المجاعة في مدينة الجزائر 5656 من السكان مما جعل سكان المناطق الداخلية يرفضون دفع الضريبة ويهاجر سكان المدينة إلى الأرياف المجاورة⁴.

- مجاعة عام 1592م: كانت نتيجة الوباء المنتشر في مختلف أرجاء البلاد والقحط الذي أعقبه.

-مجاعة عامي 1611 و1612م:سببها الجفاف وعمّت كل البلاد⁵.

-مجاعة سنة 1752م:كانت بسبب زحف أسراب الجراد الكثيرة؛ استمرت أربع سنوات، وهلك بسببها كثير من الناس⁶.

-مجاعة سنة 1794م: ضربت مختلف مدن وأرياف بايلك الغرب بسبب النقص الحاد لمادة القمح خلال هذه السنة¹.

¹ فلة القشاعي المولودة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص 12. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق.

² فلة موساوي القشاعي، المرجع نفسه، ص 13-14.

³ جميلة مشرفي، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص تاريخ الحوض الغربي للمتوسط، تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2018، ص 30-31.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. أمين محرز، المرجع السابق.

⁵ أمين محرز، المرجع نفسه.

⁶ حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 163.

هذه المجاعات وغيرها التي لم نذكرها تجنباً للإطالة؛ كانت كما سبق وأن ذكرنا بسبب الكوارث الطبيعية والاحتكار وغلاء الأسعار، التي أدخلت الجزائر في أزمت غذائية تكررت بمختلف المحطات التاريخية التي مرت بها خلال الفترة العثمانية.

الدرس الثامن: النشاطات الاجتماعية والثقافية 1- المعاملات (المصاهرة)

أولاً- الزواج:

الزواج هو اقتران الرجل بالمرأة بصفة دائمة ومستمرة²؛ وفي المفهوم الشرعي الزواج أو النكاح هو عقد رابطة بين الذكر والأنثى بصفة معينة وبشروط شرعية محددة ومعلومة لا يصلح إلا بها³.

وقد وردت لفظتا الزواج والنكاح في القرآن الكريم في كثير من الآيات منها قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"⁴؛ وقوله تعالى أيضاً: "وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ"⁵.

1- العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج في الجزائر خلال الفترة العثمانية:

ارتبط الزواج بمجموعة من العادات والتقاليد في الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ كما نجد أن عقوده اختلفت بين المذهبين الحنفي والمالكي، فعقد النكاح في المذهب الحنفي اعتمد على ركن الرضا والإيجاب من الزوج دون إكراه للزوجة، أو إجبارهم على النكاح سواء ثيباً أو بكرًا. أما في المذهب المالكي يُتشرط الولي والشهود وصيغة العقد والإيجاب والقبول ثم المهر أو الصداق، وهذا الأخير يعتبر شرطاً من شروط العقد الصحيح. كما يمكن أن يكون الزواج بالتوكيل أي

¹ دغموش كاميلية، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1830-1792م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حمادو بن عمر، جامعة وهران 1، 2019، ص 264.

² محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، الزواج، طلاق، بيع الإيجار، وقف، استبدال، دار غريب، القاهرة، ص 48.

³ فان دي فيلد، الزواج المثالي، ترجمة محمد فتحي، ط.4، مؤسسة الخانجي، دبت، ص 55.

⁴ سورة الروم، الآية 21.

⁵ سورة النور، الآية 32.

توكيل الزوجة وكيلًا ينوب عن الولي، ونجد هذا في عقد الزواج بالمذهب المالكي والحنفي معاً¹.

وكثيراً ما كان يتم الزواج في الجزائر خلال الفترة المذكورة في سن مبكرة؛ فبالنسبة للذكور غالباً ما يتزوجون في سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر أما بالنسبة للبنات فيكون في سن التاسعة أو العاشرة².

ومن العادات التي نراها نحن سيئة؛ أن كثيراً من الفتيات كانوا يُجبرون على الزواج في وقت مبكر عند بعض العائلات³؛ في حين أنه كانت عائلات أخرى تؤخذ برأي الطرفين (الولد وال بنت الراغبان في الزواج) ويتم اختيار الفتاة من نفس الطبقة الاجتماعية قصد ضمان نجاح الرابطة الزوجية⁴.

كانت عملية الزواج تمر بمراحل هي:

1- الخطبة:

تعتبر الخطبة أول مرحلة فعلية نحو الزواج؛ غالباً ما كانت تتم بواسطة الأمهات أثناء زيارات النساء لبعضهم البعض أو في الحمامات العامة؛ لأنه لم يكن يسمح للعروسين أن يرى أحد الآخر باعتباره من المحرمات حسبهم إلا نادراً وخفية⁵، وفي هذا يذكر وليام شالر: " أنه يجري التخطيط للزواج وعقده، بواسطة الأمهات والعلاقات النسوية التي تتم بين الطرفين. حيث كانت النساء تلتقي في الزيارات أو في الحمامات العمومية، التي يترددن إليها كثيراً والتي كانت تفتح أبوابها لهن في فترة ما بعد الظهر⁶، واعتبر الحمام في الجزائر خلال الفترة المذكورة المكان المفضل للنساء لتبادل الأخبار العائلية وعرض الثروة والتباهي بلبس الذهب. إلى جانب أن المرأة الجزائرية بصفة عامة والفتاة بصفة خاصة عُرفت بحشمتها الشديدة؛ وفي هذا يذكر الألماني هابنسترايت أن النساء الجزائريات محتشمت بشدة فلا يسرن في الأزقة بدون حجاب، وعندما يسرن فوق ظهور البغال يختبئن في ستائر غريبة. كما يذكر بأن الرجل الجزائري غيور

¹ حسان كشرود، رتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية بالجزائر العثمانية (1659-1830م)، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري بقسنطينة، 2007-2008م، ص ص 120-122.

² ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، (ط.خ)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

³ عمار عمورة، المرجع السابق.

⁴ Faouzi Adel, **la nuit de nocés ou la virilité piégée**, N°4, Insaniyat revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, Oran, janvier-avril 1998.

⁵ عميراي أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجاً)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 89.

⁶ وليام شالر، المصدر السابق، ص 87

على زوجته أو ابنته أو أخته ولم يستثنى في هذا حتى الأتراك المقيمين بالجزائر؛ ويذكر في هذا أنه ترجاه تركي بأن يعالج زوجته، وعندما طلب أن يراها أجابه بأنه يفضل الموت على أن يرى أحد زوجته¹.

وبخصوص الأمهات المتوسطات بين عروسين المستقبل غالباً ما كانت تقوم بهذه المهمة القيمة امرأة مُسنّة تكون صديقة لعائتيهما، إذ تذهب من بيت إلى بيت آخر في مهمة للعائلة التي لها أولاد في سن الزواج². وقد كانت خطبة الفتاة الشكلية تتم على يد الخاطبة نفسها ويجتمع الوالدان ويتفقان على الصداق³، وأثناء الخطبة تقدّم خاتم من فضة⁴.

2-الصداق:

أ- تعريفه:

الصداق هو المهر الذي تستحقه الزوجة على الزوج بالعقد عليها أو بالدخول بها دخولا حقيقيا⁵.

تعددت تسمياته نذكر منها: العقر، الطول، الأجر، الصداق، النحلة⁶.

ب- أنواعه: نجد في أنواع المهر:

1-المهر المسمى: هو المهر الذي تم تسميته في العقد وتراضى عليه الزوجان أو من يقوم مقامها.

2- المهر المثل: هو مهر امرأة من قوم أبيها تماثلها أو تقاربها وقت العقد سنا وجمالا ومالا وبلدا وعصرا وعفة وعلما وأدبا إلى غير ذلك من الصفات المرغوب فيها مع مراعاة حال الزوج وقت العقد⁷.

ولقد دلّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع على وجوب المهر فجاءت سورة النساء بقوله تعالى: "وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً"⁸، وقوله تعالى: "

¹ أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

² وليام سنيسر، المصدر السابق.

³ عمار عمورة، المرجع السابق.

⁴ Faouzi adel, op.cit.

⁵ أحمد الكبيسي، الأحوال الشخصية في الفقه والقضاء والقانون (الزواج والطلاق وأثارها)، ج1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970.

⁶ نور الدين أبو لحية، الحقوق المادية للزوجة، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د.ت).

⁷ فاروق عبد الله كريم، الوسيط في شرح قانون الأحوال الشخصية العراقي (عقد الزواج وأثاره، والفرقة وأثارها وحقوق الأقارب)، كلية القانون، جامعة السليمانية، إقليم كردستان، العراق، 2004م.

⁸ سورة النساء، من الآية 4.

فَأَتْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً"¹؛ ومن السنة نجد قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "التمس ولو خاتما من حديد"².

وتضمنت عقود الزواج أنواعا كثيرة من الصداق فيما يخص الجزائريون وحتى الأتراك حيث يخبرنا رجل فرنسي: بأن التركي في الجزائر لا يمكنه أن يتزوج من فتاة أهلية إلا بعد الموافقة على دفع المبلغ الذي طلبه والدها وهو عكس ما يجري في فرنسا تماما وختم كلامه بقوله: إن المرأة في الجزائر أكثر قيمة منها في فرنسا³.

ج- مكونات الصداق: يتكون الصداق من:

1- المبلغ المالي:

يعتبر تقديم المهر حدثا مهما في حياة المرأة، وقد اختلفت قيمته من منطقة إلى أخرى في الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ فمثلا مهر المرأة في الفحوص يتكون من مبلغ مالي ومستحقات أخرى⁴، ولنا في هذا مثلا عن مهر زواج وقع بين أسرة محمد الشريف الزهار من مدينة الجزائر وأسرة علي مبارك من مدينة القليعة في سنة (1139هـ-1727م) قُدر بألف دينار وواحد⁵.

أما بالنسبة للوسط لقبائل الجبال، فنجد المهر يتكون عندهم من قسم عيني يتمثل في كميات من القمح والسمن وكبش، وقسم نقدي لا يتجاوز لدى بعض القبائل حد أدنى ثلاثة دراهم⁶.

وغالبا ما كان يعبر عن المهر في عقود الزواج؛ كأن يقال: تزوج على بركة الله تعالى وتوفيقه الشاب السيد محمد بن عمر القزاز مخطوبته وكريمته الولية عويشة بنت محمد البكر البالغ على صداق مبارك قدره أربعمئة ديناراً كلها جزائرية⁷.

2- القفطان:

¹ سورة النساء، من الآية 24.

² نيل الأوطار للشوكاني، 6/192، وجامع الأصول، 7/4.

³ جون وولف، المصدر السابق.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 397.

⁵ عائشة غطاس، المرجع السابق.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 97.

⁷ خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 352.

ضم عقد الزواج إلى جانب المبلغ المالي الذي يقدمه الرجل لزوجته مستحقات أخرى¹، كتقديم لباس القفطان المطروز بالذهب أو الفضة على الكتفين إلى الأمام² لرمزيته القوية لأن العروسة تشبه السلطان فوق عرشه بكسائها الفاخر هذا³. ولم يكن هذا اللباس حكرا على الأسر الغنية بل كانت تقدمه كذلك الأسر الفقيرة، وأعتبر من العناصر الأساسية لشرط صداق المرأة بكرا كانت أو ثيبا⁴. وقد اختلفت أسعار القفطان خلال الفترة العثمانية بحسب نوعية القماش المصنوع منه كالوبر والحريير والقطيفة⁵.

وقد كان شرط القفطان يتم توثيقه في عقد الزواج مثله مثل المبلغ المالي؛ ولنا في هذا مثال عن ما قدمه عبد الرزاق ابن حمادوش لمخطوبته فاطمة ابنة عمه الحاج أحمد الدباغ البكر قفطان واحد مصنوع من الوبر.

3- الحزام:

يعد الحزام من لوازم القفطان لشده عندما يكون طويلا، حتى لا ينفتح ولا يلمس الأرض، شكله عريض ومادته مصنوعة من الحرير ويحتوي على صفيحتين من الفضة أو الذهب ويغلق بواسطة عنقه، وفي بعض بلدان المشرق كان يزين بالجواهر⁶، و يعتبر أيضا من ملحقات الصداق خاصة بالنسبة للطبقة المتوسطة⁷ لما يحمله من رمزية ومعنى في ربط العروسة بعائلتها الجديدة؛ حيث يقوم أحد شباب البيت بتحزيم العروسة بضمها فعليا مع أم زوجها أو أخته بالحزام لتكون هناك علاقة وثيقة ووطيدة بينهما⁸.

وكان اشتراطه في المرأة البكر دون الثيب، واختلفت أسعاره وتراوحت بين 100 و200 دينار⁹.

4- الأمانة:

هي الخادمة التي يُعتمد عليها في تدبير شؤون البيت؛ اشترطتها بعض الأسر ذات الحسب والنسب والتي شكلت لها أحد مظاهر الأبهة والحياة الاجتماعية داخلها خصوصا في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تتفاخر بها زوجاتهم أو أبنائهم،

¹ ليلي خيراني، المرجع السابق.

² فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة بقسنطينة في القرن 18، دار القصة، الجزائر، 2007م، ص 43.

³ شريفة طيان، المرجع السابق، ص 107.

⁴ خليفة حماش، المرجع السابق، ص 370.

⁵ المرجع نفسه، ص 371.

⁶ شريفة طيان، المرجع السابق، ص 119. فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 41.

⁷ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 320.

⁸ فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 42.

⁹ خليفة حماش، المرجع السابق، ص 388.

ووجدنا هذا الشرط عند الأتراك ولم يكن يُشترط في صدق الثيب إلا في بعض الحالات، واعتبرت من الأملاك التي يُستفاد من ثمنها وقت الحاجة إذ كان يتراوح سعرها ما بين 50 و100 ريال.

5- الجواهر:

من الشروط المألوفة في صدق المرأة البكر بمقدار نصف أوقية إلى أربع أوقيات؛ استعملته المرأة في لباسها بالحفلات أو عند خروجها مع الحايك، ومن الأمثلة نجد صدق جواهر رقية بنت السيد محمد المقرري المقدر بأربع أوقيات في سنة 1087هـ، وصدق جواهر فاطمة بنت الحاج محمد الدباغ أوقيتان في سنة 1125هـ¹.

6- القمجة:

هي التسمية المحلية للباس النساء الداخلي أو القميص؛ مصنوعة من القماش الخفيف واللين لونها أبيض يرمز للفرح والصفاء، تكون بدون ذراعين وقد تضاف لها أكمام أو شاش أو ما شابهه، لها مكانة خاصة في مكونات الصدق أو الجهاز لارتباطها بحفلة الزفاف والتي تُثبت الفتاة بواسطتها عذريتها لهذا تُسمى أيضا بقميص العذرية، وهي مأخوذة من الثقافة اليهودية، تراوحت أسعارها ما بين ريالين وخمسة عشر ريالاً في أواخر القرن 18م².

7- الحايك:

هو ثوب المرأة الرسمي خارج بيتها؛ مصنوع من الصوف أو القماش الرقيق لونه أبيض؛ ترتديه المرأة لتستر رأسها ووجهها وكامل جسدها حتى لا تُعرف، وأحياناً لا يمكن للزوج أن يتعرف على زوجته وهي خارج المنزل مرتدية الحايك³، كما يُعرف أيضاً بالملحفة التي تختلف قيمتها حسب جودة مادتها التي صُنعت منها، أشهرها وأغلاها ملحفة سكندارني. ويعرفها دوزي بأنها حجاب فضفاض وعريض ويعبر عن الثقافة القديمة حسبه⁴.

¹ عائشة غطاس، المرجع نفسه. خليفة حماش، المرجع نفسه، ص 283. جميلة معاشي، المرجع نفسه، ص 332. فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 45.

-Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, traduit de Langlais par mac carthy, paris, 1830.

² فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص ص 41-42. جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 323. Jelila Behi, op,cit, p9. Faouzi adel, op,cit, p 24.

³ شريفة طيان، المرجع السابق، ص ص 116-118.

⁴ نفس المرجع ونفس الصفحة. جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 323. عائشة غطاس، المرجع السابق. Dozy, **dictionnaire détaillé des vêtements chez les arabes**, Amsterdam, 1843, p 185.

8- الغليلة والصارمة: أ- الغليلة:

تعتبر من ملحقات صدق المرأة البكر؛ وهي لباس في شكل سترة بدون أكمام أو بأكمام قصيرة، مصنوعة من المخمل (القطيفة) أو الحرير أو البروكار (قماش دمشقي)؛ ويتم طرزها بخيوط الذهب أو الفضة مثل الفتلة والمجبود، يلبسها الرجل والمرأة على حد سواء ولم تكن مقتصرة على فئة من سكان مدينة الجزائر تلبسها التركية والمسيحية والأندلسية واليهودية، تذكر المراجع بأن أصلها مصري ودخلت الجزائر عن طريق الأندلسيين¹.

ب- الصارمة:

هي قطعة ذهبية أو فضية توضع على الرأس للزينة؛ كانت تقدمها الأسر الثرية في صدق المرأة البكر فقط، غالية الثمن بما يعادل مائة سكة (من 700 إلى 1000 ليرة)².

الدرس التاسع: النشاطات الاجتماعية والثقافية

2- المعاملات (المصاهرة) الحصة الثانية

تتمة-

4- الاحتفالات: اختلفت احتفالات الزواج بين المدينة والريف

أ- في المدنية:

تشابهت حفلات الزواج بالمدن الجزائرية خلال الفترة العثمانية؛ فبعد عقد القران وعودة الرجال من عند المفتي يمضون بمجرد غروب الشمس إلى منزل العروسة لأخذها مصحوبين بالموسيقى والفوانيس الكبيرة. فنتبعهم العروس وهي بلباس فخم ومحجبة برداء حريري أبيض، وفي حالات أخرى تُنقل على ظهور

¹ شريفة طيان، المرجع نفسه، ص 107. عائشة غطاس، المرجع نفسه، ص 453. خليفة حماش، المرجع نفسه، ص 390.

² فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ، إشراف أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016-2017. خليفة حماش، المرجع السابق، ص 339.

البغال فيما يُشبه القفص وتُحجب عن أعين الرجال، أو تُنقل على ظهر حصان مُزين ويرافقها الأهل والأصدقاء في موكب بهيج يحملون المشاعل والمزامير، وعند وصولها إلى باب الدار يقرعون الطبول للتنبيه والتأكيد كي لا تطأ قدمها الأرض الشيء الذي يُعتبر فالاً سيئاً عندهم. ويقمن بأصوات صاخبة متقطعة تسمع على امتداد المسافة، وتكون العروس محاطة بجمع غفير من الناس ويدخل معها إلى ساحة دارها الجديدة عدد منهم تُقدم لهم قسعة من الطعام ثم بعدها خروف مشوي يُقطع ويُوزع على كل الحاضرين ثم تقدم الفاكهة خاصة البطيخ والتمر والبرتقال. وفي اليوم السابع بعد حفلة الزفاف يقوم والد العروسة بمأدبة من حسابه الخاص يرسل فيها المأكولات إلى بيت صهره الجديد¹.

ب- الريف:

كان الريفيون أكثر حرية في اختيار الزوجة من الحضر؛ للزيارات المتعددة والمتبادلة فما بينهم، فإذا أعجب رجل بفتاة يخطبها من والدها ويشترى لها لباس يتكون من قميص أبيض فضي ولباساً آخرًا عاديًا وغيره من الأمور. وبعدها بأيام يقود العريس بغلا فوقه مقعد ويتنقل عبره إلى دوارها أو خيمتها في موكب بهيج أين يلاقيه أهلها في وسط الطريق وينضمون إليهم وهم يطلقون النيران من مسدساتهم.

ويجلس الناس في خيمة واسعة يأكلون ويشربون ويسهرون وترقص النساء، والرجال يتفرجون ويطلقون النار نحو أرجل الراقصات فيرفعن أصواتهن وتنتهي حفلة الزواج بعد منتصف الليل وبعدها يأخذ العريس عروسه ويسلمها لأمه لتعلمها التدابير المنزلية².

5-مميزات الزواج في الجزائر خلال الفترة العثمانية:

اتسم الزواج بالجزائر خلال الفترة المذكورة بعدة مميزات أهمها:

1- المصاهرات:

تعني عبارة الصهر القرابة؛ والأصهر هم أهل بيت المرأة، ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا الختان، ويقال صاهرت القوم إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم، إذا اتصلت وتحرمت بجوار أو نسب³.

أما بخصوص المصاهرات في الجزائر خلال الفترة العثمانية فقد تنوعت بتنوع أغراضها؛ فقد اكتفى العثمانيون بالزواج من بعضهم البعض لتوسيع دائرة

¹ أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1855-1830م)، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م. أحمد بحري، المرجع السابق، صص 71-74.

² فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، إصدار وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

³ ابن منظور، المرجع السابق، ج6، ص144.

حكمهم العرفي والحفاظ على استمرار هيمنتهم، ولنا في هذا الكثير من الأمثلة منها مصاهرة الباي حسين زرق عينوا (1754-1756م) للباي حسين، ومصاهرة صالح باي لصديقه أحمد باي القلي (1756-1771م)¹.

كما ظهرت مصاهرات أخرى قصد تحقيق الاستقرار السياسي للبلاد وتهدئة القبائل وترجع هذه المصاهرات في أصولها إلى خير الدين الذي تصاهر مع أسرة بن القاضي²، ومن هذه المصاهرات نجد أيضا:

زواج حسن باشا بفتاة من أسرة ابن القاضي ليقوي ويشد أزره بهذه المصاهرة³.

زواج علي بتشين من ابنة السلطان كوكو⁴.

زواج الداوي شعبان من ابنة السيد محمد بن عبد المؤمن⁵.

زواج علي باشا من ابنة الحاج مصطفى بين الشيخ بن حالك⁶.

زواج علج علي من ابنة أخ سلطان كوكو.

مصاهرة رجب باي بابليك قسنطينة (1084هـ-1673م) لقبيلة الذواودة الصحراوية من أسرة بوعكاز؛ كما قام كذلك بتزويج ابنته أم هاني لقيدوم أخ شيخ العرب أحمد بن صخري بوعكاز⁷.

كما نجد نوعا آخر من المصاهرات في زواج الكراغلة من الأسر المحلية؛ كمصاهرة محمد أحمد باي من أسر عربية، إذ تصاهر مع أسرة أبي الضياف بزواجه من ابنتهم فاطمة بنت الشيخ في جمادي الأولى من سنة 1229هـ-1814م، ومع أسرة محمد بن قانة بزواجه من ابنتهم المنتصرة بنت الشيخ في جمادي الثانية 1248هـ-1832م، كما تصاهر مع أسرة كرغلية من خوجة بنت عصمان أخت حمدان بن عثمان خوجة ربيع الأول، 1227هـ-1812م)⁸.

وإلى جانب المصاهرات السابقة الذكر؛ نجد أيضا مصاهرات الأتراك بالأعلاج ومن الأمثلة في هذا نجد:

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق.

² عائشة غطاس، المرجع السابق.

³ نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتماء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

⁴ صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل تاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، عنابة، 2015م، ص 124.

⁵ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 42.

⁶ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 27.

⁷ حسان كشرود، المرجع السابق، ص ص 184-185.

⁸ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 201.

زواج محمد عثمان باشا من عرجية لليلة واحدة ثم طلقها وخلف منها علي باشا، وقال إنني تزوجت لكي لا أموت وأحشر شيطاننا¹.
كما كان الأ علاج المعتنقين للإسلام يمتنعون من الزواج بالجزائريات حتى لا يحرمون من التدرج في المرتب العليا.
كما نجد مصاهرات لأعيان مدينة الجزائر وفئة الانكشارية والأتراك مع الأسر الموريسكية (الأندلسية).

2- تعدد الزوجات:

من خلال بعض المصادر التي عُدنا إليها فإن ظاهرة تعدد الزوجات في الجزائر خلال الفترة العثمانية كانت منتشرة، وفي هذا يذكر الفكون في كتابه النوازل: " بأنه لم يزل يتردد إليه المرة بعد المرة بكل من له وجاهته وصيت في بلدها إلا أن طلبت منه ألا ترجع إلى بيته إلا أن يشترط على نفسه أن يضع لها سوارا من ذهب ولا يتزوج عليها غيرها. وهو مما يفسر خوف النسوة واشتراطهن على أزواجهن بعد الزواج عليهن.

وقد ذكر **سيمون بفايفر** في مذكراته في ظاهرة تعدد الزوجات أن يوسف بن خوجة تزوج ستة مرات وهو لم يبلغ من العمر 40 سنة وكان له معهم ثمانية عشر ولدا².

إلا أننا نجد قولاً معاكساً لوليام سنبسر والذي ذكر في كتابه الجزائر في عهد رياس البحر بأن ظاهرة تعدد الزوجات لم تكن منتشرة في الجزائر خلال الفترة المذكورة³.

3- التسري:

التسري في اللغة العربية من السرور، أو أن يتخذ السرية وهي الأمة المملوكة التي يتخذها سيدها للجماع وهي في الأصل منسوبة إلى السر، وهو الأمر المكتوم لأن الرجال كثيراً ما كانوا يتخذون السراي سرا.

اصطلاحاً: هو الجوارى بملك اليمين، واصطاف بالرجل جارتيه وللجماع⁴، وحكم التسري في الإسلام أنه جائز بالكتاب والسنة والإجماع متى تم بشروطه، فالإسلام أباح للسيد أن يكون عنده عدد من الجوارى من سبي الحرب يستمتع بهن

¹ أحمد شريف الزهار، المصدر السابق.

² سمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

³ وليام سنبسر، المرجع السابق.

⁴ سعد الدين مسعد هلالى، حقوق الإنسان في الإسلام دراسة تأصيلية فقهية مقارنة، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 2010، ص 41.

وحده ويتزوج منهن أحيانا إذا شاء¹، والله تعالى في هذا يقول: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ"².

بخصوص ظاهرة التسري بالمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية فإنها كانت منتشرة وهو ما أفادتنا به الكتابات الأوروبية التي ذكرت أن المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة يعرف فوضى جنسية، وبالغت هذه الكتابات في وصف الحريم وزوجات الرجل وجواريه³.

أما ابن حمادوش فيذكر لنا في رحلته، أن والد الفتاة المتزوجة كثيرا ما كان يشترط بعد عقد النكاح على زوج ابنته بأن لا يتزوج عليها ولا يتسرى مع غيرها⁴.

ولم يكن التسري يبرم بعقد في المحكمة الشرعية إلا إذا حدث حمل وإنجاب فيقر المتسري أن الأمة المتسري بها هي أم لولده⁵.

4- الطلاق:

1- تعريفه:

الطلاق في اللغة: حل الوثاق مشتق من الإطلاق وهو الإرسال والترك، وفلان طلق اليد بالخير أي كثير البذل.

وفي الشرع: حل عقدة التزيج فقط، وهو موافق لبعض أفراد مدلوله اللغوي⁶.

2- مشروعية الطلاق:

شرع الإسلام الطلاق على كرهه وبغضه له؛ إلا أنه اعتبره علاج ينهي الخلاف ويقضي على أسباب النزاع، فخصه بجملة من الآيات البيّنات حيث قال تعالى في محكم كتابه العزيز: "الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ"⁷. وقوله أيضا: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ"⁸. كما توجد كثير من الأحاديث في هذا المجال.

¹ عبد الله ناصح علوان، نظام الرق في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.م)، 2003م، ص 91.

² سورة المؤمنون، الآيتين 5 - 6.

³ أحمد بحري، المرجع السابق.

⁴ عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق.

⁵ خليفة حماش، المرجع السابق، ص 452.

⁶ مصطفى بن العدوي، أحكام الطلاق في الشريعة الإسلامية، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1988، ص 9.

⁷ سورة البقرة، من الآية 229.

⁸ سورة الطلاق، من الآية 1.

أما بالنسبة لظاهرة الطلاق في الجزائر خلال الفترة العثمانية فقد تعددت أسباب وقوعها منها سلوك الرجل الغير لائق أو معاملات المرأة السيئة اتجاه زوجها¹.

إضافة إلى إرغام البنت على الزواج دون رضاها؛ مما يجعلها تترك بيت زوجها وتنفصل عن الحياة معه وتطلب الطلاق.

إضافة إلى مشكل السكن الذي أُعتبر من أهم أسباب الطلاق، فكثيرا ما رغبت الزوجة بسكنها المنفرد فتعمل على تحقيق مرادها.

كما يشير تيدينا بأن الزوجة بإمكانها أن تذهب إلى القاضي وتفسح الارتباط الزوجي إذا قصر الزوج في حقها ولم يعتني بها². وهو القول نفسه الذي أشار إليه وولف بأن رباط الزوجية يمكن حله بسهولة إذا قرر الزوج أو الزوجة أنه لم يعد رباطا مفيدا³.

وفي وثيقة حول دور جماعة في الريف ورد عبارة من طلق زوجته ثم ردها؛ فعليه خمس رياسات، وهذا ما يشير إلى أنه لا يجوز إرجاع المرأة بعد تدخل الوستاء والأهل الصلح⁴.

الدرس العاشر: النشاطات الاجتماعية والثقافية

-المستوى الثقافي

الحياة الثقافية:

تأثرت سلبيًا وإيجابًا بجملة من العوامل تمثلت في:

- ضعف الدولتين الحفصية والزيانية، اللتين كانتا تقتسمان الحكم في الجزائر، الأولى في نصفها الشرقي والثانية في نصفها الغربي، ثم مالتا إلى الضعف والسقوط نتيجة عوامل كثيرة أهمها التطاحن الذي كان بينهما من جهة، وبينهما وبين الدولة المرينية من جهة ثانية، هذا الضعف والانحيار جعلهما عاجزتين عن التصدي للغزو الإسباني الذي عرفته الجزائر في مطلع القرن

¹ كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، ترجمة جمال

حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية

² عمير اوي احميدة، المرجع السابق.

³ جون بون وولف، المرجع السابق، ص 170.

⁴ درقاوي منصور، المرجع السابق، ص 110.

السادس عشر/العاشر هجري¹، والذي ساهم في انهيار ما تبقى منهما²، كما كان له أيضا آثار وخيمة على الحياة الثقافية بالجزائر بسبب انعدام الأمن، وانتشار الخوف وحالة اللاإستقرار. هاته النتائج كانت سببًا في انتقال كثير من الناس من القرى والاستقرار بالجزبال بحثا عن الأمن والطمأنينة، وتأمينًا لهم من غدر فرق الإسبان العسكرية³، فالإسبان لم يكتفوا بتدمير وتخريب المراكز الثقافية بل تعدوه إلى قتل وأسر علمائها وطلابها أو تهجيرهم بصورة قسرية⁴.

- أن الحكام العثمانيين أنفسهم ساهموا في ركود الحياة الثقافية بالجزائر من خلال سياستهم التي لم تعتني بالتعليم ومؤسساته. وقد لا نؤاخذهم في هذا، كونهم كانوا رجال حرب وسياسة على الخصوص، إذ كانت اهتماماتهم حربية بالدرجة الأولى، تمثلت في الجهاد لأجل تحرير البلاد من الغزاة الإسبان، وهو هدفهم النبيل الذي قدموا لأجله إلى الجزائر هذا من جهة، ومن جهة ثانية عملوا لأجل ضمان الاستقرار والأمن⁵.

هذا الانشغال جعل سياستهم غير مشجعة للثقافة ولا لأصحابها⁶. وما امتناعهم عن بناء جامعات كجامع القرويين بفاس، أو الأزهر بالقاهرة، أو الزيتونة بتونس تعكف على نشر العلم وتخريج العلماء إلا دليل على صدق ما نقول⁷. هذا الانشغال السالف الذكر ولد لديهم عدم الاهتمام بالجانب الثقافي والذي ساهم في انخفاض مستوى التعليم والثقافة في كامل القطر الجزائري. وأدى إلى انحدار المجتمع في هوة الخرافات والطرقية بالخصوص، ولولا روح الإسلام التي غرست في الناس حب الخير والإحسان، وإيقاف الأرزاق على المؤسسات الدينية لاندثر التراث القديم إلى الأبد⁸.

¹ عمار بن خروف، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ص 15-16.

² ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 126.

³ محمد بن أحمد أبي راس الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق محمد غالم، الجزء الأول، منشورات مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران.

⁴ عمار بن خروف، المرجع السابق، الجزء الثاني.

⁵ أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 315-316.

⁶ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 190.

⁷ المرجع نفسه، ص 273.

⁸ علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق.

أضف إلى هذا أن الحكام العثمانيين كانوا غير عارفين باللغة العربية وقواعدها، إذ كانوا عجمي اللسان لا يفقهون شيئاً مما ينشده الشعراء أو يتفصح به الخطباء¹. فمن أين يكون لهم التشجيع والتحفيز؟ فيقال إن فاقد الشيء لا يعطيه، وقد يعود أيضاً عدم هذا الاهتمام، إلى عدم اندماجهم، مع الأهالي. إذ ظلوا مبتعدين عنهم، كونهم كانوا يشعرون دوماً بأنهم غرباء وهذا برغم كونهم مسلمين ومدافعين عن الإسلام، فكيف لهم أن يتعلموا هاته اللغة أو يتحدثوا بها أو يتذوقوها؟²

وبالمقابل حتى لا نكون قاسين على العثمانيين، فإنهم أطلقوا العنان لحرية التفكير والرأي ولم يضطهدوا أي عالم أو يسجنوه أو يقتلوه، بسبب آرائه الفكرية أو المذهبية. ولم يمنعوا أي نوع من الهجرة للطلبة أو العلماء بغرض طلب العلم أو تعليمه. مادام هؤلاء لا يتدخلون في شؤون السياسة على نحو يناوئ حكمهم أو يهدده، وإن حصل فتكون عواقبه وخيمة عليهم³.

ورغم هذا التقصير من العثمانيين في المجال الثقافي إن صح القول، فإنه وجد تراث أدبي، وفني، وعلمي مقبول، وبرز علماء أجلاء في الجزائر⁴.

- أثر الهجرة الأندلسية ويظهر جلياً من خلال الدور الإيجابي الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون في بعث بعض المدن، وتعمير أخرى، وتنشيطها كشرشال، مستغانم، البليدة وغيرها، والتي أصبحت بفضلهم مراكز ثقافية هامة أو بؤراً مشعة للتبادل الفكري يقصدها العلماء والطلبة إذ ظهر أثرهم في جوانب مختلفة من الحياة وفي العلاقات الاجتماعية والثقافية⁵.

- إلى جانب هاته العوامل سألفة الذكر، عرفت الجزائر في العهد العثماني جوائح متمثلة في الطاعون أو الوباء، والزلازل، والجفاف، والمجاعات الكبيرة، والجراد، فالجزائر مثلاً في سنة 981هـ-1573م فقدت عددًا كبيرًا من علمائها وصلحائها بالإضافة إلى العديد من الناس بسبب الطاعون⁶.

¹ محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص42.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص190.

³ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 15-16.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص191.

⁵ عمار بن خروف، المرجع السابق.

⁶ ابن المفتي، المصدر السابق، ص ص 76-77. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص161. عزيز

سامح إلترا، المرجع السابق، ص147.

أولاً: المؤسسات الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني:

عرفت الجزائر هاته المؤسسات منذ أن وصل إليها الإسلام (القرن الأول هجري/السابع ميلادي). وكان المسجد النواة الأولى لهذه المؤسسات. ثم ظهرت مؤسسات أخرى عرفت انتشاراً واسعاً خلال العهد العثماني، وهي المدارس العلمية، الكتاتيب القرآنية، الزوايا والرباطات، المعمرات...

1- المساجد:

تمثل أماكن للعبادة، وأماكن لنشر العلم¹ من خلال وظيفتها المتمثلة في إقامة الصلاة، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفروض الدينية، ومختلف العلوم الأخرى المتعلقة بحياة المسلمين، والتعريف بشؤون الناس، ومعالجة المشاكل، والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع، فهي تمثل قلب القرية وروح المدينة. فتقام حولها الأسواق والكتاتيب، والمسكن. كما تعتبر المساجد أيضاً بمثابة الرابطة بين أهل القرية والمدينة، لذا لقيت اهتماماً كبيراً بتأسيسها والعناية بها وصيانتها خلال الفترة المذكورة، والمشاركة في بنائها من الحكام، ومن عامة الناس خصوصاً كبار الأثرياء، ومن الجمعيات الخيرية الدينية². ومن أهم هذه المساجد الجامع الكبير بالعاصمة، والجامع الكبير بتلمسان، وجامع بجاية، وجامع قسنطينة³.

2- المدارس العلمية:

تمثلت وظيفتها في تعليم العلوم الدينية وغير الدينية⁴ وهي مكونة من:

أ- المدارس الابتدائية:

انتشرت عبر كامل البلاد، ساهمت في القضاء على الأمية، وانتشار التعليم بين السكان⁵ من خلال أهدافها التي تمثلت في:

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص243.

² أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

³ العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني «سيرتا»، ماي 1980.

⁴ أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، المرجع السابق.

⁵ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص274.

- تحفيظ القرآن الكريم.
- تعليم مبادئ القراءة والكتابة.
- تعليم المبادئ الدينية، كأحكام الطهارة، العبادات، والعقائد.¹
وعمت أهدافها هاته جميع الأطفال المسلمين الذين لا يتجاوزون في أعمارهم سن الرابعة عشرة سنة، ولا يقلون عن سن الخامسة لمدة أربع سنوات.² يكونون قد تحصلوا على رصيد معرفي يخرجهم من دائرة الأمية.³ وكان المشرف على هذا التعليم إمام المسجد، ويتولى مباشرته نخبة من حفظة القرآن الكريم، تراعى فيهم شروط الاستقامة، والسيرة الحسنة، والسمعة الطيبة.⁴ كما كان لهذا التعليم نظام داخلي بصفة مجانية.⁵ تحدد فيه بدقة أوقات العمل، والاستراحة، والعطل، ثم تحديد أجره المعلم، والتي في الغالب يدفعها آباء التلاميذ.⁶

ب- المدارس الثانوية:

كان التعليم بها من حظ أبناء الأغنياء الذين كانوا يواصلون دراستهم بعد المرحلة الابتدائية. ويتم في الجامع أو في مدرسة ملحقة بالأوقاف بصفة مجانية.⁷ له هو أيضا نظام داخلي دقيق يضبط أوقات التدريس والتغيبات، وعدد أحزاب القرآن المتلوة كل يوم وشروط الإقامة في المدرسة.⁸ يدرس بها النحو، والتفسير والقرآن، وكان المشرف على هذا التعليم غالبا ما يجمع إليه وظيفة القضاء، والإفتاء، وكانت له أجره، إضافة إلى المسكن المجاني، كما أن الطالب بها في نهاية دراسته يتحصل على إجازة. تشهد له بأنه قد درس

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 204.

² أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث «بداية الاحتلال»، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق.

⁵ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

⁶ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 203.

- Fray Diego DE HAËDO, op.cit.

⁷ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 163.

⁸ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، ص 285.

جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه، ويصبح بذلك بإمكانه تولي وظيفة مؤدب أو كاتب¹.

لعبت هي الأخرى دورًا في الحياة الثقافية بالجزائر. ومن أشهر المدارس الثانوية في غير العواصم، نجد مدرسة الخنقة، ومدرسة مازونة²، التي قال عنها أبي راس الناصري «عرفت بكثرة مجالسها، ونجابة طلبتها، وقريحة أشياخها»³.

ج- المدارس العليا:

لم يكن بالجزائر خلال العهد العثماني مدارس للتعليم العالي، أو ما يشبهه كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروسها التي كانت تعطى في الزوايا وأهم الجوامع، كانت تفوق أحيانًا دروس هاته الجوامع⁴، والمتمثلة في النحو، الفقه، التفسير، الحديث، الحساب، والفلك، بالإضافة إلى التاريخ والطب⁵.

كما تردد عليها الأساتذة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للتعلم والتعليم معاً⁶، وسمي الأستاذ المدرس بها بالعالم، والذي كان يتقاضى أجرته من الأوقاف⁷. ومن الجوامع التي اشتهرت بهذا النوع من التعليم نجد الجامع الكبير بتلمسان، الجامع الكبير بالعاصمة ومدرسته العليا، واللذان يكادان يشكلان نواة لجامع علمي على غرار الأزهر والزيتونة والقرويين، ساهم في تخريج علماء وقضاة ومفتيين⁸.

كما كان لهاته المدارس العليا مكاتب خاصة وعامة وأخرى محبوسة، وأغلبها غنية بالمخطوطات، ومنها المكتبة العظيمة للجامع الكبير⁹.

3- الكتابات القرآنية:

خصصت لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة. وفي بعض منها خاصة الكبيرة، كان الأطفال إلى جانب الحفظ يتلقون قواعد

1 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص163-164.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول.

3 محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حقه وضبطه وعلق عليه، محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

4 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص273.

5 أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص165.

6 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص273.

7 أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص165.

8 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، ص284.

9 علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص272.

تلاوته، وتجويده، وترتيبه على الروايات المختلفة، مع تحفيظهم بعض المتون للعلوم الفقهية والشرعية واللغوية.

أسست من طرف حفظة القرآن الكريم، وهم بأنفسهم أشرفوا على التدريس بها، بغرض الحصول على لقمة العيش. وغالبًا ما كانت منفصلة عن المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس، حتى تحافظ هاته الأخيرة على نظافتها، ووقارها من أوساخ الأطفال وضوضائهم، وبالتالي توفير جو الخشوع للعبادة، لعبت هي الأخرى دورًا كبيرًا في التربية والتعليم¹.

4- الزوايا والرباطات:

أسسها في الغالب، رجال الدين المتصوفون الذين عملوا على تلقين أتباعهم الأذكار والأوراد²، وتعليمهم مبادئ الدين أيضا، مما مكنهم من تخريج أجيال من المتعلمين. كما أن الزاوية بالريف الجزائري كانت أكثر إيجابية من نظيرتها في المدينة خصوصا في مجال التعليم³. إذ استطاعت أن تنافس زوايا عريقة سواء تلك التي كانت بالعاصمة، أو في مدن أخرى من البلاد⁴، كما أن مساهمات هاته الزوايا وتأثيرها في الحياة الثقافية والفكرية لم يقتصر على داخل الجزائر فحسب، بل تخطى الحدود إلى الخارج ووصل صدها إلى الدول المجاورة، وأصبحت تنافس في مكانتها العلمية بعض مؤسسات الفكر والدين كالزيتونة بتونس، أو القرويين بفاس⁵.

عملت هاته الزوايا بنظام داخلي من خلال توفير المبيت، والإطعام للطلبة الداخليين، وشكلت مساكن لعابري السبيل، والفقراء المعوزين⁶. يحفظون بها كتاب الله، ويدرسون الفقه، والعقيدة، وقواعد النحو والصرف⁷، كزوايا الراشدية أو زوايا

¹ أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، المرجع السابق، ص ص 18-19.

² محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، ص 31.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 261-267.

⁴ العيد مسعود، المرجع السابق، ص 63.

⁵ أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، المرجع السابق، ص 140.

⁶ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 267.

⁷ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

مازونة التي اهتمت بتدريس المذاهب الصوفية¹ وكالزاوية الشيعية لصاحبها سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد.

هاته الزوايا عرفت انتشارا واسعا في جميع ربوع الجزائر خلال العهد العثماني، إذ لا نكاد نجد أي منطقة بدون زاوية، وهي ميزة هذا العهد الذي عرف أيضا انتشارا للطرق الصوفية². والتي كانت لها هي الأخرى مساهمات لخدمة العلم والتربية والتوجه الإسلامي³.

5- المعمرات:

نوع آخر من المؤسسات الثقافية الذي عرفته الجزائر خلال الفترة العثمانية، ظهرت وانتشرت بالأرياف وقرى الجبال خاصة بمنطقة القبائل⁴، عرفت هي الأخرى نظام داخلي من خلال طلبتها المقيمين بها والوافدين إليها من مختلف جهات الوطن، بل حتى من خارجه، وهم الذين عملوا على تسيير شؤونها بالتداول بينهم من حيث النظافة، الصيانة، وطهي الطعام، وجلب المياه...؛ وإلى جانب كونها مكانا تؤدي فيه الصلاة بصورة جماعية عملت على تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وتجويده وترتيبه عقب كل صلاة العصر، المغرب، والصبح. وعرف ذلك بالحزب الراتب. كما علمت العلوم الدينية، واللغوية المساعدة على فهم وتفسير القرآن الكريم.

وبهذا تكون المعمرات هي الأخرى ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية بين الناس، وحاربت الجهل والامية في جهات مختلفة من الوطن⁵.

6- المكتبات:

كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الكثيرة الكتب، والمكتبات. وكانت الكتب تنتج بها عن طريق التأليف، والنسخ أو تجلب من الخارج، ولاسيما من الأندلس التي هاجر أهلها إليها بسبب اضطهاد الإسبان لهم⁶، حاملين إليها ما وصلوا إليه من علوم دينية ودنيوية، عقلية ونقلية، ومن كتب قيمة⁷.

¹ محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار...، ص 09.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 261.

³ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 139.

⁴ محمد نسيب، المرجع السابق، ص 31.

⁵ أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، المرجع السابق، ص ص 20-21.

⁶ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

⁷ علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق.

وكثرة الكتب لم يكن حكرًا على المناطق التي وصل إليها الأندلسيون أي السواحل، بل وجدت أيضا في أعماق الصحراء، وهو ما يرويهِ العياشي في كتابه الرحلة العياشية في جزءه الأول بأنه شاهد بتكويرارين مكتبة غنية بها ألف وخمسمائة كتاب من الكتب النفيسة لصاحبها العالم محمد بن إسماعيل، والتي تحصل على أغلب كتبها من إسطنبول. وكان قد أوصى بها لخادم الروضة النبوية قبل وفاته عام 1066هـ/1655م¹.

كما عرفت ميزاب بمكتباتها خاصة منطقة بني يزقن². كما ساهمت منطقة توات في الحركة الثقافية العامة خلال عهد العثمانيين بإثراء المكتبات من خلال التأليف القيمة في القراءات، والتراجم والنوازل الفقهية بفضل علمائها ومعاهدها كمعهد سيدي الشيخ بالأبيض، ومعهد كرزاز³. كما اشتهرت بها الزاوية البكرية وقصر ملوكة بفضل مكتباتها⁴ وتنقسم المكتبات في الجزائر إلى نوعين هما:

1- مكتبات عامة:

وهي المكتبات التي كانت وقفاً وحبساً على المساجد والزوايا والمدارس. والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصاً، ثم لجميع القراء المسلمين. ومن أشهر هاته المكتبات مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة، مكتبة المدرسة الكتانية بقسنطينة، مكتبة المحمدية بمعسكر⁵.

2- مكتبات خاصة:

من الصعب حصرها لكثرتها، إلا أن الكثير من العائلات اشتهرت بها كعائلة الفكون مثلاً بقسنطينة.

¹ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وليمان القرشي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

³ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

⁵ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص61.

معظم المكتبات سواء عامة أو خاصة، احتوت وبوفرة على كتب العلوم الدينية كالتفسير، الحديث، وكتب الفقه والأصول والتوحيد. كما احتوت أيضا على كتب العلوم العقلية، إلا أن كتب الحساب والفلك والطب عرفت ندرة. إلا أن مصير المكتبات هاته، لم يكن أبداً آمناً لظروف الحرب وما انجر عنها من حالات اللاإستقرار، أدت في كثير من الأحيان إلى ضياع كتبها أو إتلافها¹.

الدرس الحادي عشر: النشاطات الاجتماعية والثقافية

- دور الأوقاف الاجتماعي (الحصّة الأولى)

المصادر المالية للمؤسسات الثقافية:

متنوعة؛ ساهمت في بعثها، وإحيائها، وتطورها، ونجاحها، تمثلت في

مصدرين اثنين هما:

1- الأوقاف:

سنخصص أعزائي الطلبة حصّة منفردة في المرة القادمة عن الأوقاف

ودورها.

2- الإعانات:

متمثلة في إعانات المحسنين، سواء كانوا في الحواضر أو الأرياف، عملاً

بقوله تعالى: «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا»². تمثلت في النقود، السلع،

الأغذية، الألبسة، الأفرشة... وكانت بصورة دورية خلال السنة. كما تنفرد الزوايا

بمصدر ثالث يتمثل في:

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 299، 302.

² قرآن كريم، سورة الكهف، الآية 30، رواية ورش.

- عائدات الزيارات والوعادي ممثلة في النقود، البضائع، الأغذية، الألبسة.

- هبات وتبرعات الأتباع في مناطق عديدة من الوطن.

- هدايا ممثلة في الحيوانات من ماشية وإبل.

- مناسبات جني المحاصيل وما يصاحبها من دفع للعشور وزكاة من المحاصيل الزراعية والحيوانية. إضافة إلى أحباسها.

هاته الأموال كان يقدمها زوار الزاوية من الأخوان والأتباع والمريدين.

-حواضر العلم بالجزائر خلال العهد العثماني:

هي الأخرى تأثرت بطبيعة الحال بالأوضاع المتردية التي كانت تعيشها الجزائر خلال بداية العهد العثماني جراء الاحتلال الاسباني، وما نتج عنه من حالة اللإستقرار للبلاد، وحالة الرعب التي أصابت السكان. وانعكست سلبيًا على هاته الحواضر، إذ خربت الكثير منها، وفقدت أهميتها كما حدث لوهران وبجاية التي هجرها علماءها سواء في الداخل أو الخارج. كما أصبحت الكثير منها مهددة بهذا الغزو الذي أضعفها وأدى إلى تدهورها. ورغم هاته الظروف الصعبة ظلت في كثير من المرات صامدة تلقن العلم وتعاليم الدين للطلبة. ومن هاته الحواضر نجد:

أ- حاضرة الجزائر:

تعد من أكبر الحواضر الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني؛ إذ أصبحت قبلة لطلبة العلم والعلماء والسفراء... ومن أبرز علمائها الشيخ أبو عثمان سعيد قدورة، محمد بن محمد المقرئ...¹.

ب- حاضرة تلمسان:

تدهورت أوضاعها الثقافية نتيجة العوامل السالفة الذكر، إذ كانت تنتشر بها دور العلم والمدارس، وكانت مقصد لطلاب العلم سواء من داخل الوطن أو من خارجه². إلا أنها فقدت أهميتها بفقدانها لعدد من سكانها ذوي النفوذ الاجتماعي والتأثير العلمي، والذين هجروها إلى المغرب الأقصى بحثًا عن الأمن والاستقرار كعائلة الونشريسي والمقرئ³.

ج-حاضرة قسنطينة:

¹ ابن المفتي،المصدر السابق.

² علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص172.

ظلت قلعة علمية صامدة. رغم الظروف الصعبة التي مرت بها الجزائر. إذ حافظت على شهرتها العلمية، بفضل الكثير من رجالها الذين تفوقوا في التدريس والتأليف طيلة القرنين العاشر والحادي عشر هجريين. إذ كانت قبلة لطلاب العلم من داخل الوطن وحتى من خارجه¹، بفضل الكثير من زواياها التي ظلت مفعرة لعائلاتهما كعائلة الفكون مثلاً².

إلى جانب هاته الحواضر الكبرى، كانت هناك مراكز أخرى عبر مختلف مناطق الجزائر كمازونة التي قال فيها أبو راس الناصري: «عرفت بكثرة مجالسها ونجابه طلبتها وقريحة أشياخها»³، إذ لعبت هاته المدينة دوراً لا يستهان به في نشر فقه الإمام مالك في الجزائر عامة وغربه وشرق المغرب الأقصى خاصة. إذ تخرج منها الكثير من الفقهاء⁴، إلى جانب مدن بسكرة، تقرت، ميزاب، وادي سوف، ورقلة وعين ماضي اللواتي اشتهرن بجوامعهن ومدارسهن، وهي جميعها مدن صحراوية⁵. مما يبين ارتباط الجزائر بجنوبها خصوصاً في المجالات الثقافية، إذ نجد منطقة توات مثلاً خلال العهد العثماني ساهمت مساهمة علمية لا مثيل لها من خلال معاهدها كمعهد سيدي الشيخ بالأبيض ومعهد كرزاز وغيرها⁶. وتقريباً كل هاته العوامل السالفة الذكر كان لها تأثير سلبي على الإنتاج الثقافي الجزائري خلال الفترة المدروسة. إلا أن أداء فريضة الحج والرحلة لطلب العلم، كانتا وراء انتشار حركة التأليف والنسخ فلولاهما لما نشطت همم هؤلاء العلماء للتأليف وتزويد المكتبات بإبداعاتهم، وذلك من خلال احتكاكهم واتصالهم بعلماء البلدان سواء الذين مروا بأرض الجزائر كعلماء المغرب الأقصى، أو المنتقلين إليهم كعلماء تونس والمشرق الإسلامي، إذ تبادلوا فيما بينهم التأليف والإجازات⁷.

¹ عمار بن خروف، المرجع السابق.

² أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

³ محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 43.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، ص 175.

⁶ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 129-130.

⁷ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

إلى جانب هاته العوامل تميز الإنتاج الثقافي بجملة من الخصائص نوجزها فيما يلي:

- أنه إنتاج بسيط، غلبت عليه العامية (الدارجة) مجاراة لطبيعة المجتمع¹ الذي لم يكن يتقن العربية الفصحى مما نتج عنه شيوخ الأدب الشعبي².
- أنه إنتاج وليد المناسبات، وبصفة خاصة الإنتاج الأدبي³.
- أنه إنتاج اجتراري، أي غلب عليه الطابع التقليدي، لا نجد فيه الجدة والإبداع، مما جعله يختلف من علم إلى آخر، مثلاً اختلافه من حيث الكمية، كان غزيراً في العلوم التي تعتمد على الحفظ، وكان نادراً في العلوم العقلية كالتفسير⁴ بمعنى أن هذه العلوم تراجعت، بل حتى العلوم النقلية لم تسلم مثل اللغة والفقه انحسر فيها الاجتهاد والإبداع⁵.

- الاعتماد على الرواية الشفوية والخبر في الدراسات التاريخية دون التحقيق والنظر أدى إلى انتشار منتهج السرد التاريخي⁶.
- أما عن الإنتاج الثقافي في حد ذاته فيمكن أن نميز نوعين له.
- إنتاج ثقافي علمي ممثل في الشروح والحواشي فقهية وعقائدية⁷. وإنتاج ثقافي أدبي ممثل في النثر والشعر في شتى أغراضه⁸.
- هذا الإنتاج رغم كل ما قيل عنه أنه كان في مستوى طيب كتآليف عبد الرحمن الأخرسي، أحمد المقرئ، عبد الكريم الفكون⁹.

-الإنتاج الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني:

كان ضئيلاً ومنقولاً بصفة عامة، لجملة من العوامل أثرت بالسلب أحياناً وبالإيجاب أحياناً أخرى، ومن جملة هاته العوامل نجد:

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص ص 20، 21.

2 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 166.

3 محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق.

4 أحمد بحري، المرجع السابق، ص ص 107-108.

5 محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار...، المصدر السابق، ص 28.

6 المصدر نفسه، ص 28.

7 المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، العدد 8، السنة الثانية، جمادى الأولى 1392 هـ/ ماي-جوان 1972 م.

8 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 192. محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق.

9 أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه.

- حالة اللاإستقرار، والفوضى التي كانت تتخبط فيها البلاد جراء الثورات الداخلية والهجمات الخارجية¹، التي تركت أثرًا سلبيًا على الإنتاج الثقافي الذي ينمو ويزدهر بوجود الأمن والحرية والهدوء.
- أن الحكام العثمانيين أنفسهم ساهموا في هاته الندرة، من خلال عدم تشجيعهم وتحفيزهم للأدباء والعلماء والفنانين، كون ميولاتهم كانت حربية بالدرجة الأولى، أضف إلى هذا أنهم لم يكونوا يفقهون في العربية شيء، وبالتالي كيف لهم أن يشجعوها وهم لا يتذوقونها، ولا يخفى على أحد ما للتشجيع من دور كعامل مهم في عملية الإنتاج والإبداع الثقافي، بل أكثر من هذا أن هؤلاء الحكام أنفسهم كانوا في كثير من الأحيان جهلة وبعضهم حديث عهد بالإسلام، إلى جانب إحساسهم الدائم بأنهم غرباء في هاته البلاد².
- أن الروح الدينية الغير ايجابية شجعت على الدروشة و الخرافات، مما نجم عنه قصور علمي.
- قلة التجديد وانتشار ظاهرة الحفظ هو الآخر لم يساعد على إخراج مبدعين في الفكر والأدب³.

دور الأوقاف الاجتماعي:

عرفت الجزائر كغيرها من بلدان العالم الإسلامي حركة وقفية واسعة خلال فترة الحكم العثماني، لأنها تعبر عن إرادة الخير والتضامن في الإنسان المسلم، فهي تندرج ضمن الصدقات الجارية التي وُرد ذكرها في حديث النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »⁴.

أغراضها نبيلة وكثيرة كالعناية بالعلم والعلماء والطلبة والفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، والعناية بالمؤسسات الثقافية والدينية من مدارس ومساجد

¹ محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص43.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 190-191.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث.

⁴ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح، اعتنى به وراجعته هيثم خليفة الطعيمي، الحديث رقم 4223، - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته-، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ-2004م، ص 19 .

وزوايا فغرضها خيري بالدرجة الأولى لهذا نجد الواقفين بالجزائر خلال الفترة العثمانية لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب، فالكل شارك فيها خاصة الأثرياء ومتوسطي الحال أو من الموظفين السامين في البايك، ومن الصعب حصر أنواع الوقف لكثرتها منها الأملاك العقارية، الأراضي الزراعية، الحقول والبساتين، عيون وآبار المياه، الدكاكين، الحيوانات من ماشية وأبقار...¹.

كما أن الحكومة المركزية بدار السلطان لم تبخل في دعمه وتقويته خدمة لأغراضه السابقة الذكر، وقد شمل عدة ميادين كبناء الكتاتيب أو ترميمها وتحبيس قطع أرض لفائدة المؤسسات الدينية وإعانات المعوزين من القائمين بخدماته². ومن المؤكد أن الجزائر خلال الفترة المذكورة ازدهر فيها الوقف بنوعيه الخيري والأهلي، وسنقدم إطلاقة بسيطة عليهما في هذه المحاضرة.

أولاً: الوقف الخيري (العام) : متعدد ومتنوع ونجد :

أ- الأحباس الدينية : متمثلة بصفة خاصة في :

تحبيس المساجد :

إن أول المبادرات الخالدة التي أقبل عليها سكان الجزائر بما فيهم الأتراك وبأريحية نادرة هي بناء المساجد والتي اشترك فيها أيضا أهل الريف والمدينة، إذ كان المسجد يمثل الرابطة بينهم إلى جانب أنه كان من المؤسسات الثقافية الهامة، فهو ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية.

وبناء المساجد بالجزائر هو أول ما وقف سكانها، وهو ما احتفظت لنا به اللوائح والوثائق التي تحتوي على وقفيات متعددة وهبات متنوعة من حبس وهبة وصدقة، ويفسره لنا أيضا كثرة المساجد بها؛ وفي هذا نجد:

-توقيف الأتراك العثمانيين لأملاكهم سواء كانوا حكاما أو جندا أو كراغلة، إذ حبسوا ثرواتهم على المشاريع الدينية احتراما وتقديرا منهم للعلماء ومحاولة التقرب منهم معتمدين فيها على منطق التكافل والتضامن الإسلامي، وهو دليل منهم على محاولتهم لخلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق السلطة الروحية³. ولنا مثلا في بناء الباي محمد الكبير للعالم محمد علي أبو طالب المازوني ولطلبته

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص 227 – 228.

² مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، منشورات المجلس العلمي، 2005.

³ بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، ص 126.

بعد الفتح الثاني لوهرا ن سنة 1207 هـ / 1792 م لمدرسة فقهية أكبر دليل في هذا المجال، والذي لم يقتصر على مازونة فحسب بل شملت إصلاحات هذا الباي كامل مدارس الغرب الجزائري خدمة للعلم وتنشيطا للحياة الثقافية¹.

-الوقف على الزوايا :

عرفت الجزائر بكثرة زواياها والتي كانت ذات شهرة واسعة ولا يخفى على أحد الدور الذي تقوم به الزوايا الديني والثقافي والاجتماعي لا يُحَسِّنُ بالباحث أن يتعافل عنه إطلاقاً.

ب-الأحباس الثقافية : متعددة ومتنوعة منها:

-حبس المكتبات :

من الصعب في دراستنا هذه أن نفصل بين المراكز الثقافية والدينية لأن المساجد والزوايا كانت تؤدي وظيفة مزدوجة بل وظائف متعددة، وحتى الخزانات الملحقة بها كانت تهدف بالأساس إلى نشر المعرفة الدينية وتقديمها على غيرها من المعارف، واشتهرت الجزائر بمكتباتها المنتشرة بها كمكتبات تلمسان ومعسكر وقسنطينة والجزائر وتوات، إذ تضمنت مخطوطات ومؤلفات بها. ونجد مثالا في هذا عن المكتبات التي أوقفها الباي محمد الكبير ببايليك الغرب الجزائري إذ جلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة².

وغالبا ما كانت هذه المكتبات بجوار المسجد أو المدرسة أو الزاوية³، وبصفة خاصة المكتبات العامة، والعلاقة بين المكتبة والمسجد يرجع إلى كون أن الثقافة خلال العهد العثماني كانت دينية أكثر منها أدبية أو علمية⁴.

كما أن وقف الكتب كان يتم بنفس الطريقة التي تتم بها الأوقاف الأخرى، فالواقف عادة ينص على أن الكتاب موقوف في سبيل الله على طلبة الجامع أو

¹ ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 60.

² بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، ص 62.

³ سعد الله، المرجع السابق، ص 296 ، 298.

⁴ بلحميسي، مقصد الدارسين...، ص 64.

الزاوية أو المدرسة التي يوجه فيها، كما ينص على منع إخراج الكتب من الشرعية ختمه الذي يحمل تاريخ الوقف وخطه الشخصي¹.

هذه المكتبات التي عرفتها الجزائر جعلت من طالبها يتمتع بمكانة لا يتطرق إليه الشك في أي مكان حل به، هذا التميز الذي تميزت به هذه المكتبات جعل زوارها من الفقهاء والأدباء والعلماء والرحالين زيارتها ضرورة علمية لا مفر منها البته.

ج-الأوقاف الاجتماعية :

لم يكتف المحسنون بالوقف على الخدمات الدينية والثقافية ولكنهم أولوا عناية للجانب الاجتماعي أيضا، من خلال الإنفاق على الفقراء والمغتربين من أوقاف المساجد، والدور الذي قامت به الزوايا وهذه في حد ذاتها خدمة اجتماعية عظيمة.

وحسب الوثائق المتاحة كان للأوقاف دور كبير في هذا المجال، وفي مجالات أخرى كالمساهمة في إرساء قواعد السلطة العثمانية وتثبيت الأمن والاستقرار في البلاد، ودور علمي وتعليمي².

الدرس الثاني عشر: النشاطات الاجتماعية والثقافية
-دور الأوقاف الاجتماعي (الحصّة الثانية)

ثانيا: الوقف الأهلي (الخاص) :

فقد عمل به كثيرا سكان الجزائر لارتباطه الوثيق بأعرافهم وتقاليدهم، ولندكر أن الوقف الأهلي هو: ما يوقفه الواقف على ذريته من الذكور والإناث أو على

¹ سعد الله، المرجع السابق، ص 298.

² بلحميسي، المرجع السابق، ص 126.

أشخاص معينين حتى إذا انقرضوا عن آخرهم آل إلى جهة يعينها ليصبح وقفا خيريا. أما أركانه فهي: الواقف، الموقوف عليه والأملك الموقوفة.

أما بخصوص ركن الواقف والموقوف عليه فنجد أن الواقفين بالجزائر اتفقوا على هدف واحد تكرر في عقودهم عبر ما يشبه العبارة التالية: « قَصَدَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ »¹، كما نجد أهداف أخرى مثل صلة الرحم.

ومن خلال اضطلاعنا لبعض الوثائق وعقود الوقف لاحظنا أن بعض الواقفين يحرمون الإناث من حق الإرث عدا الاستغلال حتى الموت، وهو ما عبرت عنه إحدى الوقفيات بصراحة فقالت: «...حبسا... على أنفسهما ثم أولادهما الذكور والأنثى الخالية من الزوج...»²، ونعتقد أن هذه المسألة كانت متداولة لدى الكثير من القبائل وشائعة بمختلف بلاد المغرب الإسلامي وليست ظاهرة خاصة بسكان الجزائر، في حين نجد أن بعض الواقفين لم يحرموا البنات من حق الإرث وهو ما صرحت به هذه الوثيقة «...وبعد وفاته يرجع ذلك على بنته عائشة تستغلها مدة حياتها، وبعدها على ذريتها وذرية ذريتها ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام، يستغلون جميع ما ذكر طبقة بعد طبقة...»³، هذه الوثيقة نجدها تعاكس الوثيقة الأولى التي ذكرناها والتي خصصت البنات بالاستغلال لا غير فإن تزوجت أُخْرِجَت من الانتفاع بالإرث.

وما لاحظناه كذلك من خلال عقود الوقف التي هي بحوزتنا هو شمولية التحبيس لمن سيولد بعد تاريخ إنشائه حتى لا يضطر إلى تحيينه كلما ولد له مولود جديد. ونجد في هذا مثلا في وقفية محمد المزوني التي نص فيها على أنه أوقف أولا على نفسه ثم على ابنته ثم على ذريتها⁴، أو وقفية الحاج وأخيه الصغير ولد الحاج قويدر بن الحاج التي نص فيها على أنهما أوقفا على أنفسهما ثم أولادهما الذكور والأنثى الخالية من الزوج وعقب عقبهما، فإن انقطع النسل المذكور يرجع لأولاد أخيهما⁵.

كما نجد أن بعض الواقفين كانت لهم شروطا خاصة منفردة يختارونها بمحض إرادتهم حسب ما يرونه مفيدا لاستمرار الوقف وصلاحه، فمنهم من

1 أ. و. ج. سجلات المحاكم الشرعية، ع. الوثيقة. سعد الله، المرجع السابق، ص 233.

2 المصدر نفسه.

3 سعد الله، المرجع السابق، ص 233.

4 سعد الله، المرجع السابق، ص 233.

5 أ. و. ج. سجلات المحاكم الشرعية، ع. الوثيقة.

اشترط بعد انقراض نسله أن يؤول الوقف إلى جهات أخرى مختلفة مثل مكة والمدينة، مثل ما ورد في وقفية أولاد الحاج قويدر بن الحاج «...فإن انقرض النسل المذكور يرجع حبسا على مكة والمدينة شرفهما الله...»¹ أو مثلا تحبب عبد القادر سيد أحمد بلحميسي لجميع أملاكه في مازونة على الحرمين الشريفين².
أو يؤول الوقف إلى المساجد سواء داخل مدينة الواقف أو خارجها، ولنا في هذا مثال عن وقفية محمد المازوني والتي خصت الجامع الأعظم بمدينة البليدة، حيث جاء فيها : «...وإن قرضوا (كذا) عن آخرهم يرجع ذلك على جامع (كذا) (الأعظم من بلدة البليدة... »³.

ونجد في تخصيص الجزائريين لأوقافهم للمساجد والجوامع دليل على حرصهم على تقوية دور المسجد في بناء المجتمع وضمان استمرارية أداء رسالته النبيلة، إذ جعلوا المساجد أكثر من غيره آخر محطة يؤول إليها الوقف.
أما بخصوص الركن الثاني المتمثل في الأملاك الموقوفة فقد وقفنا على أنواعها من خلال الوثائق التي بحوزتنا إذ نجدها متنوعة، ومنها :

أ- العقار: من أراض وبحيرة وماء وحمام ودار وبيت ومحلات...

ب- الكتب: مثلا وقف الباي محمد الكبير خزانة كتب كاملة وأهدى نسخة من صحيح مسلم إلى مدرسة مازونة التي أمر ببنائها إكراما لرئيس معهدنا الشيخ بن علي أبو طالب وجزاء له ولطلبته على مشاركتهم في تحرير وهران⁴.

ج- الدراهم: مثل أوقاف دراهم بَحَيْرَة، دراهم كراء بيت...⁵.

وما وجب أن نشير إليه أيضا؛ أن الوقف لم يقتصر على الرجال فحسب بل حتى النساء كانت لهم مساهمة فيه سواء المرأة الجزائرية أو المرأة التركية، حيث اتضح لنا من خلال وثائق الأرشيف أن أوقاف النساء كانت متنوعة من أحواش وبحاير وديار، وقد حبست لجهات مختلفة، وبصفة خاصة حبست للمساجد المحلية أو على جهات أخرى ليستفيد منها عامة الناس المحتاجين أو المعوزين والفقراء.
وربما يعود اهتمام المرأة وخاصة في نهاية الحكم العثماني بالأوقاف نظرا للظروف الاقتصادية الصعبة التي عرفها المجتمع الجزائري آنذاك لذلك التجأت

¹ المصدر نفسه.

² أ. و. ج، سجلات المحاكم الشرعية، س، ع، ، الوثيقة.

³ سعد الله، المرجع السابق، ص 233.

⁴ محمد عليو، المرجع السابق، ص 138. الشيخ المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد 11، الجزائر، نوفمبر / ديسمبر 1972.

⁵ أ. و. ج، سجلات البايلك، س، ع.

النساء إلى تحبيس بعض أملاكهن على الأبناء والأحفاد خوفا من نكبات الدهر التي يخفيها المستقبل¹.

هذا الاهتمام للمرأة بالأوقاف يبين لنا المكانة المحترمة التي كانت تحظى بها داخل المجتمع في شتى الميادين، إذ كانت تملك العقارات والأراضي الموروثة مما أتاح لها حرية التصرف فيها، وهذا ما سمح لها بخدمة المجتمع من جهة وخدمة دينها من جهة ثانية². وهو دليل أيضا على وعي المرأة بأهمية الوقف لفائدة العامة ودليل على تمتعها بوعي ومستوى ثقافي ولو كان أدنى كما أن هذا كان تقرب من الله³.

-ناظر الأوقاف:

الولاية على الوقف حق مقرر شرعا على كل عين موقوفة، إذ لا بد للموقوف من متولٍ وناظر يدير شؤونه ويحفظ أعيانه⁴.

يعين الناظر من طرف الحاكم، الباشا، الباي أو القاضي، ولم يكن له مرتب محدد بل كان يتقاضى مبالغ رمزية كما كان يأخذ من المداخل التي يشرف عليها المبالغ اللازمة لمصاريفه، أو من الواقف نفسه.

يشترط في الناظر الإسلام والعقل والبلوغ والأمانة والكفاءة، ولا يُعزل الناظر إلا إذا ثبت ما يوجب عزله من تقصير أو تفريط أو تلاعب أو ما أشبهه، وإلى جانب الناظر أو الوكيل على المؤسسات الخيرية كانت تساعده جماعة من الجباة والموثقين لجميع حقوق الانتفاع وتوزيعها وفقا للتراتب القانوني، ويتقاضى هؤلاء العمال أجورا عن متاعبهم وأشغالهم⁵.

تمثلت المهام الموكلة للناظر في جميع أنواع التصرفات؛ كأداء أجور الأئمة والمؤذنين وقراء الأحزاب والمشرفين على إنارة المستحمات والمنظفين وغيرهم من مستخدمي المساجد، كما يقوم بشراء ما يلزمها من أفرشة وزرابي وزيت المصابيح، وقد يقوم بالإشراف على الكتاتيب القراءانية التابعة لها.

¹ المرجع نفسه، ص 334.

² كنتور، المرجع السابق، ص 341.

³ سعيدوني، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر...، ص 192.

⁴ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1416هـ-1996م، ص 294.

⁵ بن عثمان خوجة، المصدر السابق.

والناظر هو الذي يتولى حيازة الأوقاف وتنميتها وعمارته، والقاضي هو الذي يشرف على إدارة ومراقبة هذه المصاريف.

المؤسسات الوقفية العامة بالجزائر خلال الفترة العثمانية:
تنوعت المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال الفترة العثمانية بين عامة وخاصة.
أ- بالنسبة للمؤسسات الوقفية العامة: متنوعة ونجد فيها:
1- أوقاف الحرمين الشريفين:

شكلت أوقاف الحرمين الشريفين النسبة الغالبة في الأوقاف الخيرية بنسبة ثلاثة أرباع من مجموعها كلها¹، ونجد في هذا قولاً لقتصل فرنسا "فليب فالبير" أواخر القرن الثامن عشر: " بأن مساكن مدينة الجزائر والحدائق الغربية منها تكاد كلها ملكاً للحرمين".

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 157.

وقد أضاف " ... سيأتي اليوم الذي ستستحوذ فيه مؤسسة أوقاف الحرمين على جميع العقارات ... " ¹.

وإن كان لنا من تفسير عن هذه الكثرة؛ فإننا نفسرها بالمكانة السامية التي خص بها سكان الجزائر البقاع المقدسة بالحجاز ونتيجة منطقية للنشاطات التي كانت تقوم بها هذه المؤسسة التي كانت توجه أموالها إلى فقراء مكة والمدينة في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحجاز، وقصد ضمان وصول المداخل إلى الحرمين الشريفين وجدت قوائم مفصلة لأنواعها، تُرسل باسم داي الجزائر وتختم بختم الحرمين الشريفين، دلالة على وصولها كاملة بعد عودة وفد الحجيج إلى الجزائر.

وكذلك تقدم الإعانات والمساعدات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر، أو المارين بها بعد التأكد من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة ². أوقاف مكة والمدينة كثيرا ما خففت من بؤس الفقراء والمحتاجين، وتعهدت الخدمات المتعلقة بالمسجد، وقدمت المساعدة لكل منتسب إلى الحرمين من توفير الطعام وإيجاد المأوى، وهو ما عكس بصدق التضامن والأخوة الدينية مع بلاد الحجاز.

2- مؤسسة سبل الخيرات:

تحتل مؤسسة سبل الخيرات المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين ³، من حيث وفرة مداخلها وكثرة أوقافها، وتسمى بأوقاف الأحناف ⁴ لإشرافها على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس ومساجد وموظفين وفقراء. وكانت تديرها جماعة يعينها الباشا نفسه ⁵.

قدر عدد أوقاف هذه المؤسسة 331 حسبها ومدخولها السنوي كان يقدر بـ 160 ألف فرنكا فرنسيا خصص جزء منه لتغطية تكاليف صيانة المساجد والمباني الموقوفة وتوزيع الصدقات، أما الفائض فكان يصرف في شراء عقارات جديدة وأغراض تساهم في تنمية المؤسسة. تمتعت بنفوذ كبير في المجتمع والدولة وذلك لأهمية الأوقاف والمنشآت التي كانت تشرف عليها ⁶.

¹ عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جويلية 2007.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

³ أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 56.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 88-89.

⁵ أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 56.

⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1. أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 56.

3-مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

يعتبر الجامع الأعظم بمدينة الجزائر أحد المؤسسات التي لعبت دورا بارزا في الحياة الثقافية والدينية، حيث كانت أوقافه تتصرف وتعنى بالمساجد المالكية، وعرفت أوقاف هذا الجامع بالتنوع والكثرة (دراهم، عقارات، أفران، بساتين...). احتضن الجامع الأعظم المجلس العلمي، وغطى أنشطة الجوامع الأخرى. وكثيرا ما كانت فيه الأسبقية للمفتي المالكي على المفتي الحنفي في مختلف القضايا.

وقد كانت عائلة قدورة متولية أوقافه مدة طويلة، واستطاع سعيد قدورة أن يبني زاوية ومدرسة من فائض أوقاف الجامع الكبير¹.

ببالنسبة للمؤسسات الوقفية الخاصة: متنوعة هي الأخرى ونجد فيها: 1-مؤسسة أوقاف بيت المال:

شكلت مؤسسة بيت المال أحد التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية للجزائر والتي تدعمت في العهد العثماني؛ أشرف عليها أمين يسمى "البيت مالجي"². أشرفت على الأحباس وتولت إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء، وتصرفت في الغنائم التي تعود للدولة، كما اهتمت بشؤون الخراج وحرصت على شراء العتاد. اهتمت أيضا بإقامة المرافق العامة؛ من طرق وجسور وتشبيد أماكن العبادة من مساجد وزوايا³. وبالأعمال الخيرية والإنسانية؛ كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات وتقديم الهدايا في كل عيد إلى الباشا وخدمه، كما كانت تدفع شهريا مبالغ مالية إلى خزانة الدولة⁴.

2. أوقاف الأولياء والأشراف:

حظي أغلب الأولياء (المرابطين) بأوقاف خصصت للإنفاق على أضرحتهم قصد رعايتها وصيانتها، وقد تكاثر عدد الأولياء وتضخمت عائدات أوقافهم، ففي مدينة الجزائر كانت تتوزع الأملاك الموقوفة على 19 وليا تأتي في مقدمتها أوقاف الولي سيدي عبد الرحمن الثعالبي بـ 82 وقفا مدخولها السنوي 6 آلاف فرنك⁵.

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق.

Albert. Devoulx ,op.cit ,p

18.

² أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 57 .

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص 95.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق.

⁵ عائشة غطاس و آخرون، المرجع السابق، ص 302. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 159

كما لقيت أوقاف الأولياء تشجيعاً ورعاية من طرف الحكام بدافع الورع والتقوى والتقرب إلى الله؛ أو سعياً للحصول على تأييد السكان بالاعتماد على سلطة المرابط أو الشيخ.

وكتيراً من الزوايا امتلكت الثروة وتوافدت عليها الهدايا والعطايا حتى من العثمانيين أنفسهم، فقد كان بعض الباشوات يمنحون في مناسبات معينة جزء من جزية أهل الذمة إلى الأشراف والمرابطين¹.

3- مؤسسة أوقاف أهل الأندلس:

املك أهل الأندلس بالجزائر خلال الفترة العثمانية ثروات ضخمة نتيجة أعمال الجهاد البحري والاشتغال بالزراعة والحرف، وقد خص كثير منهم جامع الأندلس والزاوية الملحقة به بكثير من الهبات والأوقاف، وضعت تحت تصرف وكيل الأندلس، وقد تعززت مؤسسة أوقاف الأندلسيين بتأسيس زاوية الأندلسيين ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية حتى أصبحت تقدر بـ 4.080.72 فرنكا ذهبياً.

قدرت أوقاف أهل الأندلس المخصصة للنازحين من الأندلس ومساعدة المنفيين المسلمين من إسبانيا بحوالي خمسة آلاف فرنك سنوياً²، وكان لهم صنفين من الأوقاف، أوقاف خاصة بهم بمدينة الجزائر وضواحيها، وأوقاف يشتركون فيها فقراء الأندلس مع الحرمين الشريفيين أو مع عامة الناس³.

4- أوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة:

أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المعوزين من الجند وصيانة بعض الثكنات والحصون والأبراج؛ فضلاً عن العديد من المرافق العامة الأخرى كالعيون والسواقي... وقد خصص لكل مصلحة من هذه المرافق العامة وكيل خاص يرعى أوقافها ويتعهد بشؤونها. إضافة إلى أوقاف الثكنات التي كان عددها أواخر الحكم العثماني بمدينة الجزائر سبعة ثكنات، ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية⁴.

¹ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 309.

² أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 161.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 51، 52.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 7، 100.

دور الأوقاف الاجتماعي:

ساهمت الأوقاف بوظائف كبيرة في المجال الاجتماعي تمثلت في:

1- الاهتمام والعناية بطبقة الفقراء والمعوزين :

تكلفت مختلف المؤسسات الوقفية كالجامع الأعظم وسبل الخيرات والحرمين الشريفين بالعناية بالفقراء والمحتاجين والمعوزين بتقديم يد المساعدة إليهم بإعطائهم مبالغ مالية ومساعدات عينية في شكل إعانات وصدقات تقدم في أيام محددة ومواسم معينة؛ مثل صدقة وكيل بيت المال التي توزع على 200 فقير كل يوم خميس¹، وإعانة وكيل الأوقاف سيدي عبد الرحمن الثعالبي إلى زوار الضريح من الفقراء وأبناء السبيل². والتزام وكيل الأوقاف بقسنطينة بتقديم نصيب من حلويات الزلابية إلى موظفي المساجد والطلبة في منتصف شهر رمضان بعد أن يقتطع 300 فرنك من مدخول الأوقاف التي يشرف عليها لهذا الغرض³.

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق.

² عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 301.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق.

2- المحافظة على تماسك الأسرة الجزائرية وضمان حقوق الورثة:

حافظت الأوقاف على تماسك الأسرة الجزائرية وحالت دون اقتسام الوقف أو بيعه من طرف الورثة، باعتبار أن أحكام الوقف الأهلي تُقر لصاحب الوقف أن ينتفع هو وعقبه بالوقف حسب الوصية التي يسجلها في وثيقة الوقف، فلا يُصرف الوقف على الغاية التي وقف من أجلها إلا بعد انقراض الورثة¹.

3- الحد من المظالم والأحكام التعسفية للحكام:

ظلت الأملاك الموقوفة في مأمّن من تعسف الحكام أو ذوي النفوذ والسلطة حتى في الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر أواخر العهد العثماني، نتيجة الأحكام الشرعية الصريحة في شأنها والتي لم يستطع أحد انتهاكها، لكونها لا تباع ولا تشتري ولا يمكن حيازتها بتصرف أو مصادرة².

¹ ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر باللغة العربية:

* القرآن الكريم، رواية ورش.

-ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر و علمائها، جمعها اعتنى بها فارس كعوان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009.

-ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، دار البصائر، بيروت، لبنان.

-أبو راس الناصر محمد بن أحمد الجزائري:

1- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، الجزء الأول، منشورات مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

2- فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه وعلق عليه،

محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

-الزهارة أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الزهارة، تحقيق أحمد التوفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.

-العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاؤهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بو عزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

-العايشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وليمان القرشي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

-الوزان الحسن المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

-أ. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

-بفايفر سمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

-بن حجر أحمد، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض.

-بن حمادوش عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

-بن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تح عبد الله محمد الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق.

-بن عثمان حمدان خوجة:

1- المرأة، تحقيق محمد العربي الزبييري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

2- إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء، تق وتح محمد بن عبد الكريم، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968.

-بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

-سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

-شالر وليم، مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

-فندلين شلوسر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).

-كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديد، الرباط، المغرب، 1408هـ-1409هـ/1988م-1989م.

-مسلم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح، اعتنى به وراجعته هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ-2004م.

-وولف جون، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تر وتع أبو قاسم سعد الله، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

2-الأرشيف الوطني الجزائري:

-أ. و. ج، سجلات المحاكم الشرعية، ع. الوثيقة.

- أ. و. ج، سجلات المحاكم الشرعية، س، ع، ، الوثيقة.
أ. و. ج، سجلات البايك، س، ع.

3-المراجع باللغة العربية:

-أبو لحية نور الدين، الحقوق المادية للزوجة، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د.ت).

-إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ-1989م.

-بن محمد عبد الرحمن الجبلاي:

1-تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة) بمناسبة عيدها الألف، من سلسلة دراسات وأبحاث، الطبعة الثانية، مطبعة صاري بدر الدين وأبناؤه، الجزائر، 1972.

2-تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السابعة، 1415هـ-1994م، الجزائر.

-الزبيري محمد العربي:

1-مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، جانفي 1985.

2-التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

-القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، الجزائر، جامعة الجزائر، (2003-2004).
-الكبيسي أحمد، الأحوال الشخصية في الفقه والقضاء والقانون (الزواج والطلاق وآثارها)، ج1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970.
-المدني أحمد توفيق:

1- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
2- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، دت.
-باي أحمد، مذكرات أحمد باي، تق وتح وتر محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
-بزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.
-بلحميسي مولاي:

1-مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليين، الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، منشورات المجلس العلمي، 2005.
2-الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
-بن أبي زيان عبد الحميد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر.
-بن العدوي مصطفى، أحكام الطلاق في الشريعة الإسلامية، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1988.
-بن عبد الكريم محمد، المقري وكتابة نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

-بن محمد مبارك الميللي الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مطبعة بدران وشركاه، بيروت، لبنان، 1964.
- محمد بن عبد العزيز بنعبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1416هـ-1996م.
-بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

-بوعزيز يحيى:

1-موضوعات وقضايا من التاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004.

2- المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد، 1780-1798، د.م.ج، الجزائر، 1993.

3-الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2008.

4- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

-حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، الطبعة الأولى، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

-حمودة محمود عباس، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، الزواج، طلاق، بيع الإيجار، وقف، استبدال، دار غريب، القاهرة.

-خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2013.

-درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

-دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

-نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر.
-سعد الله أبو القاسم:

1-تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (20-16م)، الأجزاء العشرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

2-محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الرائد، الجزائر، 2009 .

3-محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث «بداية الاحتلال»، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

4-شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

-سعيدوني ناصر الدين:

- 1-ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط.2، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- 2-الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، (ط.خ)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 3-ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 4-الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي.
- 5-دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية -الفترة الحديثة-، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- 6-دراسات الأندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- 7-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 8-النظام المالي الجزائري في الفترة 1800 - 1830، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العثماني، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- شريط عبد الله وآخرون، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965.
- شريط عبد الله والميلي محمد مبارك، مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- شوفالبيه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، ط.1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009.
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 إلى 1830، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2012.

- بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر خاصة، ج2، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 2006.
- عمير اوي أحميذة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جويلية 2007.
- فاروق عبد الله كريم، الوسيط في شرح قانون الأحوال الشخصية العراقي (عقد الزواج وأثاره، والفرقة وآثارها وحقوق الأقارب)، كلية القانون، جامعة السليمانية، إقليم كردستان، العراق، 2004م.
- فان دي فيلد، الزواج المثالي، ترجمة محمد فتحي، ط.4، مؤسسة الخانجي، د.ت.
- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من قبل تاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، عنابة، 2015م.
- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، إصدار وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- قشي فاطمة الزهراء، الزواج والأسرة بقسنطينة في القرن 18، دار القصبية، الجزائر، 2007م.
- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، ط.خ، دار الرائد، الجزائر، 2010.
- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة والأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- مريوش أحمد ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

- مسعد هلالي سعد الدين، حقوق الإنسان في الإسلام دراسة تأصيلية فقهية مقارنة، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 2010.
- مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني «سيرتا»، ماي 1980.
- ناصر علوان عبد الله، نظام الرق في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.م)، 2003م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتماء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.
- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008.

4- قائمة الدوريات:

-البوعبدلي المهدي:

- 1-أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، العدد8، السنة الثانية، جمادى الأولى 1392هـ/ ماي-جوان 1972م.
 - 2-مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد 11، الجزائر، نوفمبر / ديسمبر 1972.
- الزين محمد، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس، 2012.

- سعيدوني ناصر الدين، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 76، أغسطس 1983.
- علامة صليحة، تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون، الجذري، التيفوس، الملاريا)، مجلة القرطاس(2)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2015.
- غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، 7(2)، 30 جويلية 2020.
- غطاس عائشة، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 36، الجزائر، 1993.
- محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات (1659م-1671)، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013م.
- Faouzi Adel, la nuit de noces ou la virilité piégée, N°4, Insaniyat revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, Oran, janvier-avril 1998.

5- قائمة الرسائل الجامعية:

- العايب كوثر، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد السعيد، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2013-2014.
- القشاعي فلة المولودة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990.
- بلعمري فاتح، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ، إشراف أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016-2017.
- بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م (مقاربة اجتماعية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

الحديث، إشراف دادة محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2014-2015.

-دحماني توفيق، النظام الضريبي ببيليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني (1193هـ-1779م/1246هـ-1830م)، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2003-2004.

-دغموش كاميلية، السلطة والمجتمع في بيليك الغرب الجزائري (1792-1830م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حمدادو بن عمر، جامعة وهران 1، 2019.

-حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

-سعيد خير الدين، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945 بقالمة، 2019.

-طيان شريفة، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1990-1991.

-عليو محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في معسكر خلال القرن 18 وبداية القرن 19 ميلاديين، مذكرة ماجستير تحت إشراف دحو فغور، جامعة معسكر، 2008-2009.

- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830) مقارنة اجتماعية- اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، إشراف مولاي بالحميسي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001.

-قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة تونس، 1998.

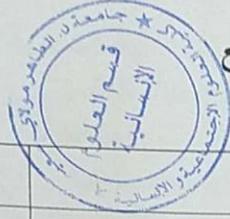
-كشود حسان، رتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية بالجزائر العثمانية (1659-1830م)، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري بقسنطينة، 2007-2008م.

-مجاهد يمينية، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962،
كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2017-2018.
-مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-957هـ/1192-
1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف محمد
الأمين بلغيث، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة منتوري
بقسنطينة، 2009.
-مشرفي جميلة، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)،
أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص تاريخ الحوض الغربي للمتوسط،
تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2018.

6-قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- DE HAËDO Fray Diego, histoire des rois d'Alger, traduit de l'espagnol par Henri Delmas de grammont, présentation de Abderrahmane Rebahi édition grand-Alger-livre (GAL) Alger, 2004.
- De Tassy Laugier, Histoire du Royaume d'Alger, Eds Loysel, paris, 1992.

- Berbrugger adrien, Mémoire sur la peste en algérie depuis 1552 jusqu'au 1819, Imp royale, Paris, 1848.
- Boutin.y, reconnaissance des villes, forts et batteries d'alger, publiée par G.Es in C.D.I.H.A, paris, 1927.
- Delmas de Grammont Henri, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515- 1830), Ernest leroux éditeur, Paris, 1887.
- Dozy, dictionnaire détaillé des vêtements chez les arabes, Amsterdam, 1843.
- Marchika, la peste en afrique septentoriale, histoire de la peste en algerie de 1363 à 1830, julien carbonel, Alger, 1927.
- Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduit de Langlais par mac carthy, paris, 1830.



فهرس المواضيع

ص1	مقدمة
ص2	محتوى المقياس
أ-نشاطات المجتمع الجزائري الاقتصادية خلال الفترة العثمانية	
ص4	الدرس الأول: النشاط الفلاحي والحرفي (الحصّة الأولى)
ص14	الدرس الثاني: النشاط الحرفي والتجاري (الحصّة الثانية)
ب-النشاطات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري	
ص27	الدرس الثالث: مجتمع الجزائر
ص34	الدرس الرابع: العادات والتقاليد
ص38	الدرس الخامس: المستوى المعيشي والصحي (الحصّة الأولى)
ص47	الدرس السادس: المستوى المعيشي والصحي (الحصّة الثانية)
ص55	الدرس السابع: المستوى المعيشي والصحي (الحصّة الثالثة)
ص63	الدرس الثامن: المعاملات (المصاهرة) الحصّة الأولى
ص71	الدرس التاسع: المعاملات (المصاهرة) الحصّة الثانية
ص77	الدرس العاشر: المستوى الثقافي
ص88	الدرس الحادي عشر: دور الأوقاف الاجتماعي (الحصّة الأولى)
ص97	الدرس الثاني عشر: دور الأوقاف الاجتماعي (الحصّة الثانية)
ص107	قائمة المصادر والمراجع